

# حراء

السنة الخامسة عشرة / (يناير - فبراير) ٢٠٢٠

مجلة علمية ثقافية أدبية  
www.hiragate.com

دورية تصدر كل شهرين

76

Hira Magazine | Knowledge - Cultural - Literary | January - February 2020

## متى يحيا القلب؟

مثلاً يزوي القلبُ تزوي الورودُ حينما يهجمُ الشّتَا بالجليدُ  
وإذا ما جاءَ الربيعُ جميلاً فالورودُ تحيا هنا من جديدُ  
وتظلّ القلوبُ مخجوبةً خدُ ف ستاراتٍ أسدلتُ من بعيدُ

\*\*\*



كيف نخفف آلامنا؟  
أ.د. عمر يلدز

٤٩

العمق السلمي للإسلام  
أ.د. محيي الدين عفيفي

٢٢

لكيلا يكون شبابنا فريسة  
للتنظيمات الإرهابية/فتح الله كولن

٢

## نحو عالم بلا خوف

العلماء ذوي الخبرة في مجال البناء الفكري، في معالجة قضايا التطرف والخوف والتحليل العميق لدوافعه، من خلال إبداعاتهم التي جادت بها قرائهم على صفحات حراء، فجمعت -بين دفتي كتاب- نخبة متميزة من مقالات هؤلاء تحت عنوان "نحو عالم بلا خوف"، غاص في أعماقه الأستاذ الدكتور أحمد حسين عميد كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، وعرض في مقاله فكرة الكتاب التي يتناولها، وكشف عن غايته التي يتوخاها؛ وهي كيفية تحقيق الأمن في صورة خطوات متكافئة، تجمع بين التأصيل النظري والتطبيق العملي.

ومن العلاج الفكري إلى العلاج البدني تطالعنا في هذا العدد شخصيتان في تاريخ المسلمين كلاهما عاش في الأندلس وبرز نجمه فيها، وكلاهما برع في العلوم الطبية وله مؤلفاته المتعددة في هذا المجال، أما الأول فهو ابن رشد الحفيد الفيلسوف، الذي لا تقل مكانته في الطب عن مكانته في الفلسفة؛ إذ يؤكد الكاتب في مقاله نقلاً عن ابن رشد نفسه "أن الطبيب الفاضل هو فيلسوف بالضرورة"، وأما الثاني فهو ابن الهيثم أحد رواد طب الأعشاب المغمورين، الذي غطى على شهرته تشابه اسمه مع ابن الهيثم عالم البصريات المشهور.

وفي تأمل خاص لآية كريمة من سورة آل عمران يحوم بنا الأستاذ الدكتور الشريف حاتم العوني ويستلهم منها بعض الفوائد التي تبرز مدى سعة رحمة الرحيم الرحمن بعباده المتقين، حتى مع ارتكابهم الذنوب والمعاصي، وذلك بسبب ذكرهم الله تعالى عقب عصيانهم وتعجيلهم التوبة والاستغفار والرجوع إليه سبحانه.

هذا إلى جانب عدد آخر من المقالات الأدبية والعلمية والثقافية التي ذخر بها هذا العدد من حراء، والتي نرجو أن يجد فيه قارئنا الأعزاء ما يمددهم بالفكر الواسع، ويدفعهم إلى تنمية ملكات الإبداع والتأمل لديهم، وبالله التوفيق. ■

الشباب هم عماد أي أمة وسر نهضتها، وهم الركيزة الأساس في تقدم كل مجتمع وبنائه، وهم أيضاً هدف كل مخرب يريد أن يقوض هذا البناء ويعمل فيه أدوات الهدم والتدمير. ومن ثم يوجه الأستاذ كولن صيحات التحذير إلى الأسرة الإنسانية كلها؛ لكيلا يكون شبابها فريسة لهؤلاء المخربين، ويدعو في مقاله الافتتاحي إلى استيعاب طاقات الشباب في مشاريع تعود على الإنسانية كلها بالرفع العام، وتوفر لهم فضاءات رحبة تلبي حاجاتهم الاجتماعية، وتقيهم من الوقوع في شرك الإرهاب والفكر المتطرف.

وبما أن أطفال اليوم هم شباب المستقبل فالعناية لا بد أن تبدأ من هذه المرحلة، وعلى الآباء والمربين أن يعالجوا أي خلل في هذه المرحلة بحكمة وأسلوب تربوي واع، كمشكلة السرقة لدى الأطفال الذي يعالجه مقال الكاتبة "أميرة الشناوي كيوان".

وإذا كان الأستاذ كولن قد أشار إلى قضية التعايش السلمي المتناغم بين شباب العالم كله، باعتباره وسيلة ناجعة في وقاية هؤلاء الشباب فيروس الإرهاب، فقد تحدث صابر المشرفي في مقاله عن الجانب التأصيلي في هذه القضية وأفرد مساحة للحديث عن تجربة حركة الخدمة في التعايش المتناغم باعتبارها حركة رائدة في هذا المجال. كما أضاء الأستاذ الدكتور محيي الدين عفيفي كل جوانب الرؤية في ما يتعلق بالعمق السلمي للإسلام، مؤكداً على أن الأصل في العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، هو التعارف والسماحة والتألف والتكامل، واحترام التعددية الدينية والمذهبية والفكرية، واحترام إنسانية الإنسان. وفي الفلسفة نفسها يعدد فضيلة مفتي الديار الأسبق فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة أمثلة من المشاركات الإيجابية في المصلحة الإنسانية سواء من سيرة النبي ﷺ أو من النماذج الأخرى في التاريخ الإسلامي. ومنذ انطلاقة حراء حتى الآن، أسهمت نخبة من





٢	لكيلا يكون شبابنا فريسة للتنظيمات الإرهابية / فتح الله كولن (المقال الرئيس)
٥	البسر المفقود / حراء (ألوان وظلال)
٦	السرققة والعلاج التربوي عند الأطفال / أميرة الشناوي كيوان (تربية)
١٠	التعايش السلمي المتناغم / صابر المشرفي (قضايا فكرية)
١٤	كيف بُنيت الأهرام؟ / صفاء الدين محمد (تاريخ وحضارة)
١٨	تاقت نفسي إلى خلاصك (من مزامير داود) / د. عز الدين عناية (قضايا فكرية)
٢٢	العمق السلمي للإسلام / أ.د. محيي الدين عفيفي (قضايا فكرية)
٢٦	آخر الترحال / محمد آيت علو (أدب)
٢٩	ذقت الموت / نحي الفخراي (أدب)
٣٢	نحو عالم بلا خوف / أ.د. أحمد حسين محمد إبراهيم (تحليل كتاب)
٣٦	ابن رشد.. فيلسوف قرطبة الطبيب / د. بركات محمد مراد (تاريخ وحضارة)
٤٠	المتقون والمعاصي / د. الشريف حاتم العوني (قضايا فكرية)
٤٣	العلاج بسم النحل / د. محمد السقا عيد (علوم)
٤٧	مشاركات إيجابية في المصلحة الإنسانية / أ.د. علي جمعة (قضايا فكرية)
٤٩	كيف نخفف آلامنا؟ / أ.د. عمر يلدز (علوم)
٥٢	زخرفة الحياة / د. ناصر أحمد سنه (ثقافة وفن)
٥٦	ابن الهيثم مدرسة في طب الأعشاب / خلف أحمد أبو زيد (تاريخ وحضارة)
٥٩	خوارزميات مستوحاة من الكائنات / محمد سلمان المندي (علوم)
٦٣	حنين إلى غائب / العربي السيد عمران (شعر)

# لكيلا يكون شبابنا فريسة للتنظيمات الإرهابية

تبني تنظيم داعش الذي يطلق على نفسه "الدولة الإسلامية"، الهجمات الإرهابية الدامية الأخيرة التي استهدفت مدينتي لندن ومانشستر<sup>(1)</sup>، ومهما يكن المسمى الذي يطلقه هذا التنظيم على نفسه، فالاسم الوحيد الذي يليق به هو "شبكة الإجرام التي تجاوزت حدود الإنسانية"، خاصة مع قيامه بعدد من عمليات إرهابية سابقة راح ضحيتها مديون أبرياء في مناطق مختلفة من العالم. إن قطع شرايين الحياة لهذه الكارثة الإجرامية المسماة "داعش"، يستوجب وقفة جادة من مسلمي العالم، إلى جانب التدابير الأمنية والاستخباراتية، ليحولوا دون حدوث مثل تلك العمليات في المستقبل. فهذا التنظيم الذي تشكّل في العراق من بقايا تنظيم القاعدة، سوّق لأكاذيبه التي يروّجها إلى جانب المجازر الدامية التي يرتكبها؛ فقد شوه وجه الإسلام الناصع المشرق بالتمسّح في اسمه، واستخدم الدين أداة لتحقيق أغراضه السياسية، زاعماً أنه يرفع من قدره، وحاول أن يموّه على الضلال والانحراف الذي سقط فيه بملابس دعائية وشعارات يرددها وأعلام يرفعها، ولكن كل ذلك لم يكن كافياً لإخفاء الخيانات التي يرتكبونها ضد الإسلام وروحه. إن أهم عامل يستخدمه هذا التنظيم في الترويج لأفكاره، هو خداع عقول الشباب وجرّهم إلى شبكته من خلال زعم إنشاء دولة إسلامية.

ت

إن أفضل طريق إلى تعزيز نظام المناعة لدى شبابنا إزاء الأفكار المنحرفة التي يحاول المتطرفون غرسها في عقولهم، أن نطلعهم عبر برامج تربوية ومشاريع عملية، على طريق إيجابي بديل للسير فيه.

حراه

والمجتمعات، وذلك من خلال المنظمات الدولية التي ينبغي أن تقوم بتدخلات فعالة ضد الأنظمة التي تمارس انتهاكات، وترتكب مظالم في حق شعوبها. وكذلك على الأنظمة الغربية أن تنهج في سياستها الخارجية نهجاً أكثر أخلاقية ومصادقية وتماسكاً. وبإمكان المسلمين أن يكونوا جزءاً من هذه الجهود ذات النطاق الواسع، بل ينبغي أن يكونوا، إذ يقع عليهم مسؤوليات خاصة في هذا الموضوع بالتحديد.

نعم، علينا -نحن المسلمين- واجب مهم إزاء فيروس العنف والإرهاب، علينا أن نقوّي نظام المناعة لدى مجتمعاتنا وخصوصاً شبابنا. علينا أن نسأل أنفسنا كيف تحولت مجتمعاتنا إلى أرضية خصبة للإرهابيين في استقطاب عناصر لهم؟ بالتأكيد هناك عوامل خارجية ينبغي معالجتها لحل هذا الإشكال، لكن ينبغي أن نبدأ من مراجعة أنفسنا -نحن المسلمين- أولاً، فمحاسبة النفس واجب ديني. كما أن هناك أدواراً ينبغي أن يقوم بها الآباء والأمهات والمدرسون والدعاة والعلماء وقادة الرأي كذلك.

إن إحدى الخطوات المهمة التي ينبغي القيام بها في هذا المجال هي هزيمة المتطرفين -الذين يرون العنف مشروعاً- في ساحة الفكر. فالتكتيك المشترك أو الخطيئة المشتركة التي تمارسها تنظيمات أنصار العنف، هي اجتزاء نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من سياقها، وتأويلها بما يخدم أغراضهم الدموية التي حددها مسبقاً. إن المنظرين لتلك التنظيمات يجتزئون مقطعاً من سيرة النبي الأعظم ﷺ أو الصحب الكرام ﷺ فيستخدمونه وسيلة لتبرير وشرعنة جريمة قد خططوا لها من قبل. ولكي يتم التصدي لمثل هذا العمل الخطير، ينبغي العمل على وضع منهاج تربوي يدرّب الأجيال على



hiragate.com

وإن حرمان التنظيم من هذه الأرضية، غاية ينبغي أن يساندها ويتحلق حولها جميع المسلمين في العالم. غير أن الإشكال معقد ومتعدد الأبعاد، بحيث لا يمكن حله بالتدخل العسكري فحسب، فداعش وأمثاله من التنظيمات الإرهابية يلعبون على عواطف الشباب الذين يشعرون بالتهميش والإقصاء في مجتمعاتهم؛ يضعون أمامهم غايات ذات مظهر نبيل، ويشعرونهم بالانتماء فيحوّلونهم إلى انتحاريين لأيديولوجية شمولية سلطوية. ومن ثم بات من الضروري أن يتضمن الحل المعالج لهذا الإشكال ذي الأبعاد الدينية والسياسية والسيكولوجية والاجتماعية والاقتصادية أوجهاً متعددة. وأهم تلك الأوجه، القضاء على أشكال التمييز والتهميش والإقصاء الاجتماعي على مستوى الدول



قراءة التراث الديني بنظرة كلية شاملة، ويعلمهم كيف يفهمون الروايات والنصوص الدينية وفق سياقها. ينبغي أن نعلم شبابنا كيف استطاع الرسول الكريم ﷺ أن يحول قومه من مجتمع بدائي همجي إلى مجتمع متشبع بالقيم الأخلاقية التي يتشارك فيها جميع الأديان الإبراهيمية. ينبغي أن يستوعبوا روح القرآن الكريم وفلسفة السيرة النبوية، حتى يتمكنوا من مجابهة تأويلات المتطرفين المضللة الخادعة. وفي السياق نفسه، يمكن للدول التي يعيش فيها مسلمون أن تسهم في حل هذا الإشكال من خلال توسيع الحريات الدينية وضمانها. على جميع أفراد الأسرة الإنسانية أن يتكاتفوا وينخرطوا، ليكونوا جزءاً من الجهود التي تبذل على مستوى العالم، للكفاح ضد هذه التنظيمات الدموية التي ترتكب جرائمها تحت مسميات دينية.

ومن المسائل الهامة التي ينبغي أن يتضمنها هذا المنهاج التربوي المتكامل، الإعلاء من قيمة الإنسان على أساس أنه آية من آيات الله تعالى. فقد خاطب الله ﷻ البشرية كافة دون تمييز بين معتقداتهم في آيات عديدة من القرآن الكريم، وشرف الإنسانية جميعها حينما قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)، كما أكد القرآن الكريم على أن قتل إنسان بريء، جريمة تساوي قتل البشرية كلها ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢). وحرّم الرسول ﷺ بشدة ممارسة العنف ضد الأفراد العزل، لا سيما النساء والأطفال ورجال الدين، في حالات الحروب المشروعة ذات الأهداف الدفاعية. هذا فضلاً عن أن جميع الحروب التي خاضها النبي ﷺ كانت حروباً دفاعية حسبما أكد مؤرخون كبار من أمثال عبد الرحمن عزام، وأنا أشاركهم في رأيهم هذا، ومن ثم فإن الاعتقاد بأن المرء يمكنه أن يدخل الجنة من خلال قتل الآخرين، ضلال ليس بعده ضلال.

ومن الأخطاء الأخرى الفادحة التي يرتكبها هؤلاء المتطرفون الذين يلجأون إلى العنف، هو محاولة النقل الحرفي للأحكام الدينية التي تم تطبيقها في القرون الوسطى - حيث كان الاختلاف الديني يُستخدم أداة للصراعات السياسية - إلى القرن الواحد والعشرين. بينما

الفرصة اليوم متاحة للمسلمين لكي يمارسوا أنشطتهم الدينية في البلدان الديمقراطية بكل حرية. إن العدالة الاجتماعية وسيادة القانون والمساواة واتخاذ القرارات بصورة جماعية، وأمثالها من المبادئ الأساسية في الإسلام، أكثر انسجاماً مع نمط الحكومة التشاركية اليوم. وبالتالي يمكن للمسلمين أن يعيشوا في البلدان الديمقراطية كمواطنين يقدمون إضافات إيجابية للبلد الذي يعيشون فيه، وهذا هو الحاصل اليوم.

ومن باب اتخاذ تدابير تفيد في المستقبل، ينبغي أن نلبي احتياجات شبابنا الاجتماعية من خلال حلول إيجابية، نوفر لهم فيها فضاءات مناسبة تستوعب طاقاتهم بصورة إيجابية بناءة. من الممكن أن نحفز الشباب لكي يتطوعوا على شكل مجموعات ويشاركوا في مشاريع إنسانية هامة، يساعدون فيها ضحايا الحروب والكوارث الإنسانية والطبيعية المختلفة. إن مشاريع إنسانية كهذه، تساعد على تخفيف آلام المتضررين من ناحية، وتشعر المتطوعين الشباب بالأهمية والسعادة، إذ أصبحوا جزءاً من مشروع إنساني حيوي. فالعمل المشترك في مشاريع إنسانية كهذه مع أفراد ينتمون إلى أديان أخرى، سيشح الفرصة للحوار المشترك ويعزز من إمكانية التفاهم، ويبعث في القلوب مشاعر الاحترام المتبادل. بفضل هذا النوع من التواصل والعمل المشترك، سيتمكن شبابنا من استيعاب حقيقة أنهم جزء من الأسرة الإنسانية الكبرى كذلك، وليسوا أعضاء في الفئة العنصرية التي ينتمون إليها فحسب. وهكذا فإن جميع الفعاليات الإيجابية التي تقوم بها مجموعات مشتركة على هذا النحو، سوف تساعد الشباب على أن يؤسسوا لأنفسهم شخصيات سليمة وانتماءات إيجابية.

إن رجال مجموعة "الخدمة" الذين أفرح بأني واحد منهم، قد أسسوا انطلاقاً من سبعينيات القرن الماضي أكثر من ألف مدرسة حديثة، وآلاف من مراكز الدعم المدرسي والمراكز الشبابية، وعشرات الجامعات والمستشفيات والمنظمات الإغاثية، وهذه المؤسسات والحلقات التطوعية التي تشكلت حولها، استفادت من الشباب الموهوبين والشباب المتخصصين معلمين ومرشدين تربويين ومدربين ومساعدين.. فمكثتهم من أن يحققوا

## اليسر المفتقد

خيراتُ العالمُ أعتقدُ  
حجبتها هاتيك العقدُ  
حُلّوها ستَهشّ الدنيا  
ويعودُ اليسرُ المفتقد

\*\*\*

لأنفسهم شخصيات سليمة متوازنة، وينمّوا لديهم شعورًا بالانتماء الإيجابي، ويعيشوا من أجل أهداف إنسانية نبيلة. وجدير بالذكر أن مجموعات التطرف لم تتمكن من أن تؤثر على الشباب الذين شاركوا في مشاريع "الخدمة"، ولم تستطع أن تورطهم في أي عمل من أعمال العنف والإرهاب قط. فهذه المؤسسات استطاعت أن تعلم شبابها عدة لغات أجنبية، وربت لهم رحلات ثقافية إلى بلدان مختلفة، الأمر الذي نمّى عندهم قابلية معرفة العالم وفهم الآخرين، والتفكير المرن والقراءة التحليلية النقدية.

إن أفضل طريق إلى تعزيز نظام المناعة لدى شبابنا إزاء الأفكار المنحرفة التي يحاول المتطرفون غرسها في عقولهم، أن نطلعهم -عبر برامج تربوية من جهة ومشاريع عملية من جهة أخرى- على طريق إيجابي بديل للسير فيه.

إن المسلمين يرددون كل يوم في صلواتهم ودعواتهم هذا الطلب مرارًا: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٦). وإن من أهم الشروط للثبات على الصراط المستقيم اليوم، أن نحاسب أنفسنا، ونتساءل هل فهمنا المبادئ الأساسية لديننا حق الفهم يا ترى؟ كما ينبغي أن نراجع واقعنا، للنظر إلى أي مدى استطعنا أن نطبق تلك المبادئ في حياتنا، وأن نعزز نظام المناعة لدى شبابنا إزاء الأفكار المناقضة لتلك المبادئ السامية.

على جميع أفراد الأسرة الإنسانية أن يتكاتفوا وينخرطوا، ليكونوا جزءًا من الجهود التي تبذل على مستوى العالم، للكفاح ضد هذه التنظيمات الدموية التي ترتكب جرائمها تحت مسميات دينية، وذلك منعا للهجمات الوحشية التي حدثت في مدينتي لندن ومانشستر من أن تتكرر في مكان آخر مرة أخرى. ■

(\*) نشر هذا المقال في ٨ يونيو ٢٠١٧، بمجلة بوليتكو الأمريكية عقب تبني تنظيم داعش الإرهابي العمليات الإرهابية التي حدثت في مدينتي لندن ومانشستر، وتعيد حراء نشره في هذا العدد تزامنا مع صدور كتاب حراء الجديد "نحو عالم بلا خوف" الذي يتناول قضايا عديدة لمعالجة ظاهرة التطرف والإرهاب بأقلام نخبة متميزة من كتاب حراء على مدار تاريخها.



# السرقه والعلاج التربوي عند الأطفال

يجب أن ننتبه من البداية إلى أن مدلول السرقة عند الطفل يختلف عن المدلول الذي عند الكبار. فالسرقة لدى الكبار عمل مشين، يتنافى -بطبيعة الحال- مع القيم والمعايير الأخلاقية، لذا نستطيع أن نتصور مدى انزعاج الآباء واضطرابهم عندما تخبرهم المدرسة -على سبيل المثال- بأن أطفالهم قد ضُبطوا متلبسين بالسرقة! وقد لا يحدث هذا الاضطراب إذا قيل لهم إن أطفالكم كسالى

ي





**إن احترام ملكية الطفل الخاصة شيء ضروري، ولا بد أن نعلمه كيف يحترم ملكية الآخرين؛ عن طريق مداومة التوجيه والإرشاد، وغرس القيم الدينية والأخلاقية في وجدانه، مع تقديم الأنموذج والقُدوة الطيبة أمامه.**

حذاء

أنهما انصرفا عنه وأهملا شؤونه، والسرقة هنا انتقامية كرد فعل لتجاهل الوالدين له. ومن ناحية أخرى قد تكون السرقة نوعاً من التنفيس عن الغضب، ولذا فقد تكون الأشياء المسروقة من ممتلكات الوالدين وقد لا تكون، فقد يلجأ الطفل إلى سرقة زميل له يشعر تجاهه بالضيق أو الغيرة ولا يستطيع مواجهته أو مصارحته فيسرق أدواته، وقد يحطمها لأنه يسرق بدافع الانتقام والتشفي.

## ٢- الرغبة في الامتلاك

قد يسرق الطفل شيئاً لأن لديه رغبة ملحة في استخدام أو امتلاك الشيء المسروق، إذا وجد الطفل بحوزة صديقه لعبة أعجبهته وهو لا يمتلك مثلها، فقد يفكر ملياً في سرقتها واستخدامها في خفية تامة، ليستمتع بلذة ملكيتها ونشوة استعمالها، وفي هذه الحالة لا يسرق الطفل إلا ما يروقه من الأشياء. وفي بعض الحالات يعيد الطفل الشيء المسروق خفية أيضاً بعد أن يستخدمه ويحقق رغبته. ومن هنا يتحتم على الآباء أو الأمهات توفير الأدوات والمقتنيات واللعب التي تروق أطفالهم قدر الإمكان، حتى لا يلجأوا إلى السرقة بدافع الرغبة في الامتلاك.

## ٤- الخوف من العقاب

يحدث أن نجد طفلاً قد ضيّع -مثلاً- علبة ألوانه بالمدرسة، فيذهب إلى المنزل يشكو لأبويه، حتى يمكنه الحصول على النقود لبيتاع أخرى، فيأبى والداه أن يأتيه بمثلها، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل يهددانه بالعقاب الصارم إذا لم يجد علبة ألوانه المفقودة.. في هذه الحالة يبدأ الطفل يفكر في سرقة النقود اللازمة لشراء علبة الألوان اتقاء العقاب، وبعد أن يبتاع مثلها يهرول الصغير إلى والديه، ويخبرهم أنه قد وجد علبة

أو متخلفون دراسياً؛ ذلك لأنهم لا يعتبرون أنفسهم قد فشلوا في تعليم أطفالهم قواعد العلم وأسس المعرفة والثقافة فحسب، بل وأحفقوا أيضاً في تهذيبهم وتقويمهم، وأن أطفالهم قد صاروا يواجهون مستقبلاً متردياً يؤكد هذا الانحراف الخلقي.

تؤكد معظم الدراسات السيكولوجية، أن هناك أنواعاً من السرقة يأتيها الطفل بدوافع بعيدة كل البعد عن دوافع السرقة في مدلولها السلبي المهيمن الذي لدينا نحن الكبار. فقد يسرق الطفل لأنه لا يدرك معنى الملكية، والأجدد بنا والأصوب أن نهتم ببحث واستقصاء الدوافع والأسباب التي أدت إلى سلوك السرقة قدر الاهتمام بالواقعة نفسها. أما دوافع السرقة وأسبابها فيمكن سردها كالآتي:

## ١- الجهل بمعنى الملكية

عندما يمدّ الطفل يده ليستولي على ممتلكات غيره، إنما يمدّها لأنه يرغب في استخدام تلك الممتلكات لا ليسرقها كما نتصور، فهو يجهل تماماً معنى أن نحترم ملكية الآخرين، فمموه لم يمكنه بعد من التمييز بين ممتلكاته وممتلكات غيره، وهو أيضاً لا يدرك أن احترام ملكية الآخرين تعني ألا يحصل عليها أو يستخدمها إلا بإذن من أصحابها، وإلا عدّ الأمر اعتداءً على حقوقهم. وقد ينبه الأب أو الأم إلى ذلك بالزجر تارة وبالعقاب تارة أخرى، ولكن لا يفتأ الطفل أن يعاود الفعلة مرة أخرى، ذلك لأن المعنى لم يرسخ بعد في ذهنه، وإنه لا يتصور أنه فعل أمراً مذموماً. ومثل هذا الطفل لا يمكننا أن نعدّه سارقاً، وكفي من أجل تعويده على سلوك الأمانة، أن ننمي فكرته عن الملكية الخاصة والملكية العامة؛ وذلك بأن نخصص له أدوات خاصة يتناول بها طعامه، وأخرى يستخدمها في الاعتناء بأمور نظافته الشخصية، وأن نخصص له كذلك اللعب والكتب والأدوات التي يحتفظ بها في مكان يخصه وحده.. في الوقت الذي نطالبه بضرورة الحفاظ عليها من التلف والعناية بها، وعدم إهدارها أو فقدها.

٢- الغيرة والانتقام: الطفل قد يسرق في المواطن التي تثار فيها غيرته الشديدة، فقد يسرق من والديه إذا وجد

قلبه، ويترسخ بداخله الشعور بالنقص، لفقده الأمل في اقتناء مثل هذه الأدوات واللعب.

والنتيجة المتوقعة هي أن الطفل يفكر ملياً في الأمر فلا يجد سوى السرقة مفرًا ومخرجًا، فيلجأ إلى سرقة مثل هذه الأشياء من أصدقائه ليلهو بها ويتمتع بصحبتها.. وعندما يسأله أبواه عن مصدر هذه اللعب والأدوات، فإنه يدّعي أن أصدقاءه أهدوه إياها، أو أن المدرسة كافأته لفوزه في إحدى المسابقات.

ولعل الطفل قد يسرق النقود ويشتري هذه اللعب ويحتفظ بها بعيداً عن الأنظار، حتى يحين موعد ذهابه إلى المدرسة فيضع هذه اللعب أو بعضها في حقيبته المدرسية، ليتمكن من التباهي أو التفاخر بها أمام أقرانه، مدعيًا أن والديه قد اشتروها له. ولا شك أن هذا الطفل يعاني من شعور شديد بالنقص، ويشعر دائماً بأنه دون مستوى أقرانه، لذلك على الأبوين توفير ما يمكنهم توفيره من تلك الأدوات واللعب.

## ٦- التقليد والمحاكاة

يتابع معظم الأطفال باهتمام شديد ما يجري في عالم الكبار، فنجد الطفل يستمع لأقوال والده ويحاول فهمها وترديدها، والفتاة تهتم بما ترده أمها فتتابع أحاديثها بإنصات شديد.. هذه السمات من شأنها أن تؤثر على الطفل، فهو على استعداد دائم للوقوع تحت تأثير الآخرين، ويطلق علماء النفس على هذه الحالة "القابلية الشديدة للاستهواء"؛ بحيث يكون الطفل على استعداد للتأثر بما يسمعه أو يشاهده، خاصة ممن يكبرونه سنًا، ويشغلون أدوارًا مهمة بالنسبة له مثل الأب أو الأم. ومن ثم يتضح أن الطفل في تلك المواقف، إنما يقوم بعملية توحيد مع أنموذج معين، وبهذا يميل إلى التقليد والمحاكاة، وقد يحدث أن تمتد يد الأم إلى حافظة نقود زوجها، لتأخذ دون إخباره بعض النقود، فيراها الطفل دون أن تشعر بوجوده، ثم يأتي الأب ليكتشف الأمر ويشور، والأم تتهزّب من المسؤولية، أما الطفل فإن عقله في مثل هذه الحالات يتعكّر، وغالبًا ما يسأل نفسه، هل أظن صامتًا، أم أروي ما رأيت فأكشف أمر أمي فيدب الصدام بينهما؟ ومهما يكن موقف الطفل، فقد تأثر تأثرًا سلبيًا بفعله أمه النموذج والقذوة له. والأرجح أن هذا



من الضروري على الأبوين مساعدة طفلها على انتقاء أصدقائه الانتقاء الصحيح والملائم.

ألوانه في صوانه الخاص.

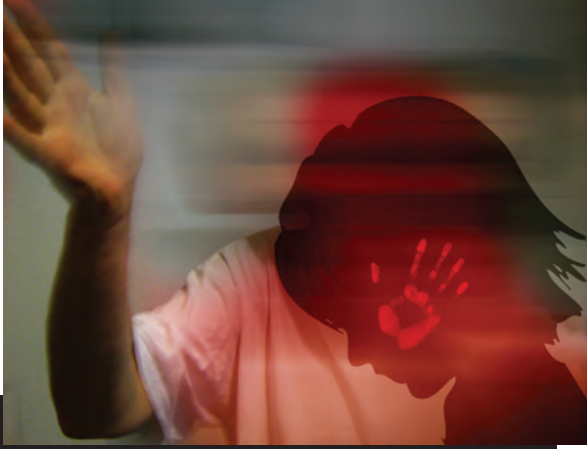
وعندما يقتنع الأبوان بذلك، يزول بذلك خطر التهديد والعقاب، ويستشق الطفل عبير الأمن والاطمئنان، ويكون قد تعلم أن السرقة قد تقني من العقاب أحيانًا.

لذا نحذر الآباء من شدة العقاب إذا ما فقد الصغار أدواتهم، لأن هذه الأمور تعد مسلكًا طبيعيًا يحدث لكل الصغار. والواجب على الآباء، أن يوجهوا صغارهم بالمودعة والحب متغاضين عن العقاب لأول مرة، وأن يقوموا بتلبية مطالبهم وإعطائهم البديل.. أما إذا تكرر الموقف مرة أخرى، فليتعرفوا على أسباب هذه الظاهرة، فقد يكون الطفل ضعيف الذاكرة، أو سريع السهو والنسيان، أو أن هناك أطفالاً في المدرسة اعتادوا على سرقة مثل هذه الأدوات.. ونؤكد أن الخوف من العقاب، يدفع الصغار دائمًا إلى الإتيان بأساليب سلوكية غير مرضية كالسرقة والكذب.

## ٥- التفاخر والتباهي

يعاني بعض الأطفال من حرمان امتلاك الأدوات واللعب التي تروقهم، إما لضيق ذات اليد، وإما لسوء تقدير الأبوين شأن توفير ما يحتاجه أبنائهم من أدوات ولعب؛ ثم يذهب الطفل إلى المدرسة أو النادي فيروعه الأمر، لأنه يرى بحوزة أقرانه أصنافًا منها، ومما يزيد الأمر سوءًا أن يجد من رفاقه التفاخر والتباهي بما يملكون، والسعادة الغامرة بما ينعمون؛ فتدبّ الغيرة في





إن الخوف من العقاب، يدفع الصغار دائماً إلى الإتيان بأساليب سلوكية غير مرضية كالسرقة والكذب.

والتي تحدث بلا دوافع نفسية، كذلك عدم دفع الطفل إلى الاعتراف بالسرقة حتى لا يعتاد الكذب، وعدم معايرة الطفل أمام الآخرين في حالة السرقة، حتى لا يشعر بالمهانة والنقص.. كل هذه الأمور تساعد على تنمية سلوك الأمانة لدى الأطفال، علماً بأن الطفل لو أحس بمشاعر المحبة والحنو والعطف والرعاية، فإنه لن يلجأ إلى السرقة.

كما أن احترام ملكية الطفل الخاصة شيء ضروري، ومن هذا المنطلق لا بد أن نعلمه كيف يحترم ملكية الآخرين؛ عن طريق مداومة التوجيه والإرشاد، وغرس القيم الدينية والأخلاقية في وجدانه، مع تقديم النموذج والقُدوة الطيبة أمامه؛ فلا ننهي عن سلوك نقتربه ثم نأتي به نحن الكبار، مع عدم اتهام الطفل بالسرقة، ونحذر من خلخاع ألقاب على الطفل من شأنها أن تقضي على سلامة صحته النفسية.

كما لا بد من دراسة الدوافع التي دفعت الطفل دفعاً إلى السرقة، فهل السرقة عابرة أم متكررة؟ وهل السرقة تقوم بوظيفة نفسية في حياة الطفل كتعويض فقدانه للحب أو الحنان أو الرعاية؟ أم لها وظيفة اجتماعية كالتباهي أو التفاخر أو إثبات الذات؟ فإذا وضعنا أيدينا على مواضع الداء الحقيقي، تمكنا من وضع العلاج المفيد. ■

(\*) متخصصة في مجال التربية النفسية والسلوكية / مصر.

الطفل سيغير من قيمه التي اكتسبها، ويعدل من اتجاهاته التي سبق له وتبناها، ويمرور الوقت لا يسأل الطفل والده عما يريده من نقود، بل ستمتد يده إلى حافظة والده ليأخذ منها ما يريد. وبهذا يصبح الطفل معتاداً للأخذ دون إذن، لأنه رأى القدوة والانموذج يفعل ذلك فقلدها وحاكها.

## ٦- أصدقاء السوء

الطفل تتسع دائرته الاجتماعية دائماً، ويتمثل ذلك في وجود أصدقاء له يذهب ويجيء معهم من وإلى المدرسة، يقضي بصحبتهم فترات الراحة والاسترخاء، والطفل يجد نفسه مشدوداً إلى أصدقائه بيدي ولاء وإخلاصه لهم، وحينما لا يساعده الأب أو الأم في اختيار الأصدقاء، فقد ينحرف الطفل ويسيء الاختيار. والشاهد على ذلك أن تعرف طفل إلى صديق يقطن بجواره في المسكن، يكبره بعدة سنوات، كان يرافقه في رحلات قصيرة في أيام العطلات الأسبوعية، ولسوء الحظ كان هذا الصديق منحرفاً سلوكياً فقد اعتاد السرقة، ولما كان الطفل يقع تحت تأثيره، وكان الأبوان في غفلة عن ابنيهما، فقد انتهت هذه الصداقة باشتراكهما في سرقة النقود وبعض الأشياء. لقد وجد الصغير في هذا السلوك متعة في إثبات ذاته وقدراته، كما وجد لذة في الجرأة والشجاعة التي تصاحب السرقة. لذا من الضروري على الأبوين مساعدة طفلهما على انتقاء أصدقائه الانتقاء الصحيح والملائم.

## تنمية سلوك الأمانة عند الأطفال

يجب أن يدرك الآباء، أنه قبل تكوين اتجاه الأمانة لا بد من حدوث اعتداءات من الطفل على ملكية غيره، وهذا أمر طبيعي يجب أن يقابله الآباء بالمرونة، إلى أن يتعلم الطفل أساليب التعاون من أخذ وعطاء. كما يجب عليهم عدم التهويل، فيقابل الآباء ذلك بالضرب والإهانة، كما أنه من الخطأ الدفاع عن هذا السلوك، فهذه الأساليب لا تساعد على تكوين اتجاه الأمانة.

فتأسيس شعور الملكية لدى الطفل بأن يخصص له مقتنياته الخاصة، وإعطاء الطفل مصروفًا يوميًا يتناسب مع عمره ووسطه الاجتماعي الذي يعيش فيه، والتسامح قدر الإمكان في حالات السرقة العابرة



## التعايش السلمي المتناغم

أولى الإسلام عناية خاصة بقضية التعايش والتعامل مع غير المسلمين، وخاصة اليهود والنصارى الذين أطلق عليهم مصطلح "أهل الكتاب". "فعند تتبع هذا المصطلح في القرآن، سنجد أنه ورد أربعاً وعشرين مرة في إشارة إلى اليهود والنصارى على وجه التحديد، لكن سياق هذه الآيات القرآنية وسباقها يختلفان؛ فبعضها يمدح أهل الكتاب لإيمانهم بالآخرة وأعمالهم الصالحة كما في الآية ١٣ من سورة آل عمران، والبعض الآخر يعنفهم لأنهم ضلوا عن سبيل الله ﷺ كما في الآية ٩٩ من سورة آل عمران، وثمة مجموعة أخرى من الآيات تدعو أهل الكتاب إلى كلمة سواء بينهم وبين المسلمين كما في سورة آل عمران الآية ٦٤، في حين أن مجموعة أخرى تشير إلى وجود علاقة حميمة بين المسلمين والمسيحيين كما في سورة المائدة الآية ٨٢. وقد

٤  
أ



ليس في الإسلام أي لون من ألوان التعصب المقيت ولا الكراهية البغيضة، إذ لم يكتف الإسلام بتعليم أتباعه هذا التسامح الشامل، بل طلب منهم أيضًا الالتزام بالسلوك العادل الذي يقبل بالآخر ويحترم ثقافته وعقيدته وخصوصياته الحضارية.

حراه

وجميعهم له الحق في العيش والكرامة دون استثناء أو تمييز، فالإنسان مكرم في نظر القرآن دون النظر إلى دينه أو لونه أو جنسه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠).

بل لقد عدَّ القرآن الكريم اختلاف البشرية في ألوانها وأجناسها ولغاتها، آية من الآيات الدالة على عظيم قدرة الخالق ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمِن آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الروم: ٢٢).

"وهذا الاختلاف لا يجوز أن يكون سببًا في التنافر والعداوة، بل بالعكس يجب أن يكون سببًا للتعرف والتلاقي على الخير والمصلحة، فالله ﷻ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: ١٣).

وميزان التفاضل إنما هو ما يقدمه الإنسان من خير للإنسانية كلها مع الإيمان بالله الحق: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣).

فليس في الإسلام أي لون من ألوان التعصب المقيت ولا الكراهية البغيضة، إذ لم يكتف الإسلام بتعليم أتباعه هذا التسامح الشامل بوصفه شرطًا من شروط السلام الضروري للمجتمع الإنساني، بل يطلب منهم أيضًا الالتزام بالسلوك العادل الذي لا يقبل بالآخر فحسب، بل يحترم ثقافته وعقيدته وخصوصياته الحضارية، وخير وصف يمكن أن نطلقه على هذا التسامح أنه تسامح إيجابي وليس تسامحًا حياديًا، قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخَرِّجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ

ظلت العلاقات بين المسلمين وأهل الكتاب (اليهود والنصارى) موضوعًا للنقاش بين المسلمين لقرون طويلة. واستندت نظرة الإسلام المتعلقة بعلاقات المسلمين بأهل الكتاب مباشرة لتلك الآية الشهيرة في القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤).

وتعد هذه الآية التي نزلت في السنة التاسعة من الهجرة (٦٢٩م) من أعظم الدعوات العالمية الشاملة للتعايش معًا في عهد النبي محمد ﷺ.

ومن ثم فقد كان تركيز المسلمين على قضية التعايش الإيجابي مع غير المسلمين عبر العصور في البناء الفكري والعقائدي، من الأمور الأساسية، التزامًا بمنهج القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. فقد بنى الإسلام علاقة شرعية مع غير المسلمين قوامها التسامح والعدالة والإحسان والرحمة، وهي مبادئ ومفاهيم لم تكن معروفة بالقدر الذي عرفه الإسلام. وسنستعرض في هذا المقال بعضًا من ملامح الرؤية الإسلامية حول قضية التعايش السلمي المتناغم، وإبراز بعض المبادرات الإيجابية في هذا المجال، مثل مبادرة حركة الخدمة التي ظهرت في وقت تنتشر فيه الكراهية، وتنبأ بحدوث صدام بين الحضارات، ومثلت أهمية بالغة للإنسانية الحديثة.

التعايش مع غير المسلمين في ضوء الكتاب والسنة

إن رسالة الإسلام رسالة عالمية تخاطب الأسرة الإنسانية كافة، وهي رسالة تأمر بالعدل وتنهى عن الظلم، وترسي دعائم السلام في الأرض، "وتدعو إلى التعايش بين البشر جميعًا في جو من الإخاء والتسامح بين كل الناس بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم. فالجميع ينحدرون من "نفس واحدة"، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١).

ومن ثم فالجميع في نظر الإسلام متساوون،

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ (المتحفة: ٨).

"ومن الملاحظ في هذه الآية وفي آيات أخرى كثيرة، أن القرآن لم يستخدم أسلوب الأمر المباشر، وإنما استخدم أسلوب التنبيه والتوجيه الذي يتطلب استخدام العقل الإنساني.. فقد اشتمل النص القرآني في هذه الآية على ثلاثة أمور؛ أولها أن الله لم يه عن التسامح مع الآخرين، وثانيها أن التسامح مع الآخرين الذين لم يعتدوا على المسلمين والتعايش الإيجابي معهم بالبر والقسط هو العدل بعينه، وثالثها التأكيد على أن من يسلك هذا السبيل يحظى بحب الله ﷻ".

وبهذا الأسلوب المقنع الذي يخلو من الإكراه على فعل شيء ما أو الامتناع عنه، تصل الرسالة القرآنية -رسالة التسامح- إلى النفوس في يسر وسهولة، وتحقق الهدف المطلوب وهو نشر التسامح بين الناس على أوسع نطاق".

أما الأحاديث الواردة في السنة النبوية بشأن التعايش مع غير المسلمين من أهل الكتاب، فهي كثيرة؛ فقد كان الرسول الكريم ﷺ مثلاً للكمال الإنساني، وفي علاقته مع ربه وعلاقته مع الناس بمختلف أجناسهم وأعمارهم وأوانهم مسلمين وغير مسلمين. "وتعد وثيقة المدينة التي عقدها الرسول الكريم مع أهل الذمة والتي تتضمن أكثر من أربعين بنداً ينص بعضها على مبادئ ومفاهيم التعايش السلمي بينهم، هي الوثيقة السياسية الأولى في الإسلام التي وضعت آلية هذا التعايش الإنساني".

**مبادرة حركة الخدمة في الحوار والتعايش الإيجابي محلياً وعالمياً**  
إن الواقع المرير على مدى القرنين الماضيين، شهد صراعاً على كافة المستويات، وفقد الناس فيه قدرتهم على تقبل بعضهم البعض وإحلال التعايش والتفاهم محل النزاع والصراعات.. وقد أدى ذلك بالتبعية إلى التشرذم، وفقدان الإنسانية في نهاية المطاف وحدتها وأمنها وأمانها. ولا شك أن استعادة كل ما فقد حتى الآن لن يتأتى إلا بقبولنا لبعضنا البعض؛ وهذا ما يحتاجه العالم بدرجة أكبر اليوم. ومن ثم فقد برزت مبادرات عديدة تدعم هذه الحاجة وتأخذ زمام المبادرة، في وقت كان الجميع يرفض كل هذه المحاولات وينقضها، ومن أهم الرواد الذين احتلوا مكانة بارزة في

هذا الصدد الأستاذ فتح الله كولن رائد حركة الخدمة، فما فتئ يردد في كل مناسبة فضائل التسامح والحوار والتعايش المجتمعي، مردداً عبارته الشهيرة: "افتح صدرك للجميع، افتحه أكثر ما تستطيع"، وقوله: "أشعر الناس أن في قلبك لكل واحد منهم متكاً".

وفي حوار أجراه مع جريدة الوطن المصرية في أبريل/نيسان ٢٠١٧، أكد على أن هذا المنهج في التعايش ليس بدعاً في القول ولا العمل، بل هو منهج نبوي أصيل طبقه النبي ﷺ وخاصة في وثيقة المدينة المنورة، مع الذين كانوا يحملون أفكاراً مختلفة.

وفي تأصيله لفكرة التسامح في ضوء المبادئ الإسلامية الرئيسة، اتخذ من "البسمة" نقطة انطلاق؛ لما فيها من تكرار لاسمي الله "الرحمن" و"الرحيم"، فإن الله تعالى يريد أن يُعلّم المسلمين بتلك العبارة -إلى جانب حكمها الأخرى- أن يكونوا رحماء في علاقاتهم مع الآخرين من الناس وحتى مع الطبيعة. ويرى كولن أنه ينبغي التفكير كثيراً والوقوف طويلاً على حكمة تكرار هذه العبارة مائة وأربع عشرة مرة في القرآن.

كما ركز على مفهوم "الحُب" باعتباره منطلقاً أساسياً أيضاً، إلى جانب الرحمة في تأسيس أرضية للتعايش الإيجابي البناء؛ "ففي حديثه عن الحب في التقليد الروحي يركز كولن اهتمامه على أحد أسماء الله الحسنى وهو "الودود" كما تناوله الفكر الروحي، يقول كولن ما معناه: إنه يتوقع من المسلمين أن يعكسوا هذه الصفة في حياتهم وأن يصبحوا أمة مُحبّة، كما كان سعيد النورسي الذي جعل الحب شعاراً فلسفته الخاصة. فلا سلاح أقوى في الكون من الحب".

ولم تقتصر دعوته إلى التعايش الإيجابي والحوار الفعال على مجرد عرض الأفكار في دروسه ومحاضراته وكتبه، بل بدأ فعاليات دعا الناس فيها إلى نبذ الخلاف والعصبية والاجتماع على كلمة سواء. حيث انطلقت هذه الفعاليات من تركيا منتصف التسعينات من القرن المنصرم، ودعا فيها إلى التعاون للخلاص من الانقسامات التي تعاني منها البلاد، سواء بين العلمانيين والتمدينين، أو بين العلويين والسنيين، أو غيرها من أشكال الانقسامات.



وقد لاقت هذه الجهود ترحيباً شعبياً واسعاً، والتقى على مائدة واحدة أناس كانوا بالأمس القريب لا يعرفون سوى لغة التحزب والعصبية الطائفية، فصاروا يناقشون قضاياهم بكل هدوء وبلغة راقية. وقد حمل أبناء الخدمة أصداء هذه الفكرة إلى كل مكان رحلوا إليه أو أسسوا فيه مؤسسات تعليمية وتربوية.

ويتابع الأستاذ كولن قوله: "فكلنا نعلم بالطبع أن مشكلة الخلاف ليست قاصرة على مناطقنا فقط، فكل المناطق في العالم تعاني من مرض تأجيج الخلافات بين الناس وإثارة التصادم بينهم، والإنسان في الواقع هو من يصنع هذه المشاكل، فحيثما وجد الإنسان فإن المشاكل تتشابه والحلول أيضاً لا تختلف.

وقد تبين للناس من شتى الألوان -بعد الاطلاع على هذه الخبرة- أن الاختلافات لا تؤدي بالضرورة إلى نزاعات، بل إذا قوبلت برحابة صدر فإنها تتحول إلى ثراء في المجتمع.

لقد أسهمت المؤسسات التعليمية والتربوية التي أسسها أبناء الخدمة في نحو ١٧٠ دولة من دول العالم في ترسيخ هذا المبدأ، خاصة في المناطق التي تعاني من هذا الداء؛ ففي جنوب "الفيليبين" مثلاً، فتح محبون للخدمة مدرسة أسموها "مدرسة التسامح الفيليبينية"، وهي تتواجد في منطقة يقطنها ٥٠٪ من المسلمين و٥٠٪ من المسيحيين، ويغلب على هذه المنطقة طابع التوتر والتجاذب بين هؤلاء الأطياف. لكن المدرسة تعطي التلاميذ الفيليبينيين -مسلمين ومسيحيين- دروساً إيجابية، وذات جودة عالية في كيفية التعايش مع الآخر. ويعمل فيها كوادر محلية من المسلمين والمسيحيين على السواء، وكذلك الأمر في البوسنة والهرسك بين البوسنيين والصرب والكروات، وفي إقليم كردستان بين الأكراد والعرب والتركمان والقوميات الأخرى، وفي مناطق أخرى من العالم نجحت -بفضل الله- تلك المدارس في تأسيس هذه القيمة ورعايتها، والقضاء على القبح الناتج عن التهميش والإقصاء.

لكن ما يحز في النفس الآن، أن الحكومة التركية بعد إغلاقها لكافة المؤسسات في تركيا، تبذل كل جهدها وتنفق أموال الشعب؛ للعمل على إغلاق هذه

المؤسسات في الخارج بدلاً من الاهتمام بمشكلاتها الداخلية، والتصدي لظاهرة الإرهاب التي بدأت تنامي في الفترات الأخيرة وتحصد الأرواح بلا وازع من دين أو إنسانية.

### الخاتمة

مما تقدم يتبين أن التعايش الإيجابي المتناغم من الأساسيات في تعاليم الإسلام، ومن ثم فإن التزام المسلمين بمبادئ التسامح والتعايش أمر يدخل في إطار التزاماتهم الدينية، التي توجب احترام الحقوق الإنسانية والدفاع عنها للأسرة الإنسانية كافة، كما يقضي في الوقت نفسه بوجود التصدي لأي محاولة لتجاوز هذه الحقوق، أو الاعتداء عليها بأي شكل من الأشكال.

وقد أثبت التاريخ الإسلامي على مدى عصوره المتعاقبة، مدى احترام المسلمين لهذه الحقوق وتعظيمهم من شأنها، سواء على مستوى الفكر أو التطبيق. كما استلهمت حركة الخدمة هذه القيم من المبادئ القرآنية والنبوية، واستطاعت أن تقدم صورة حضارية لقيم التعايش والحوار الإيجابي البناء، من خلال مؤسساتها التربوية والثقافية والإغاثية. ■

(٤) كاتب وباحث مصري.

### المراجع

- (١) السلام والتسامح في فكر فتح الله كولن، إشراف أ.د. زكي ساري توبراك، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠١٤، ص: ١٥-١٦.
- (٢) التعايش السلمي بين الأديان السماوية، علي عطية الكعبي، مكتبة صفحات الإمارات، دبي، ط ١، ٢٠١٤، ص: ٦٤.
- (٣) ظهرت في ذلك الوقت نظرية "صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي"، لصامويل هنتنجتون.
- (٤) الإسلام وقضايا الحوار، محمود حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٢، ص: ٢٠٧.
- (٥) راجع حوار الأستاذ في جريدة الوطن، في "مواقف في زمن المحنة"، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠١٧.
- (٦) فتح الله كولن: "نحو الفردوس المفقودة" (Yitirilmiş Cennet) (Doğru)، "الحب"، ص: ١٠٦، نيل يانلاري (Nil Yayınları)، إسطنبول ٢٠١٢م، باللغة التركية. قارن ذلك بمقولة النورسي: "نحن فدائيو المحبة وليس عندنا وقت للكرهية". (بديع الزمان سعيد النورسي: صيقل الإسلام، الخطبة الشامية، دار النيل، ص: ٤٩٤).

## كيف بُنيت الأهرام؟

عرف العرب آثار الفراعنة فذكروها في كتبهم التاريخية، ودونوها في رحلاتهم، وسجلوا كل ما وعوه من تاريخ عتيق، كما أطلقوا على الأهرامات؛ الطلسمات والبرابي والهيكل والأصنام، وأما اللغة المدونة عليها فأسموها "قلم الطير". وحظيت أهرامات الجيزة بنصيب موفور من الوصف والتعجب والبحث في ماضيها وسبب بنائها.. ومن ثم اختلطت بعض الكتابات بالأساطير والحكايات الشعبية. قال القضاعي: ذكر الجاحظ أن عجائب الدنيا ثلاثون

ع





أعجوبة، عشر منها في سائر الدنيا والباقي في مصر؛ فمن ذلك الهرمان بالجيزة، وطولهما أربعمئة ذراع وكأنهما جبلان قائمان في الهواء.

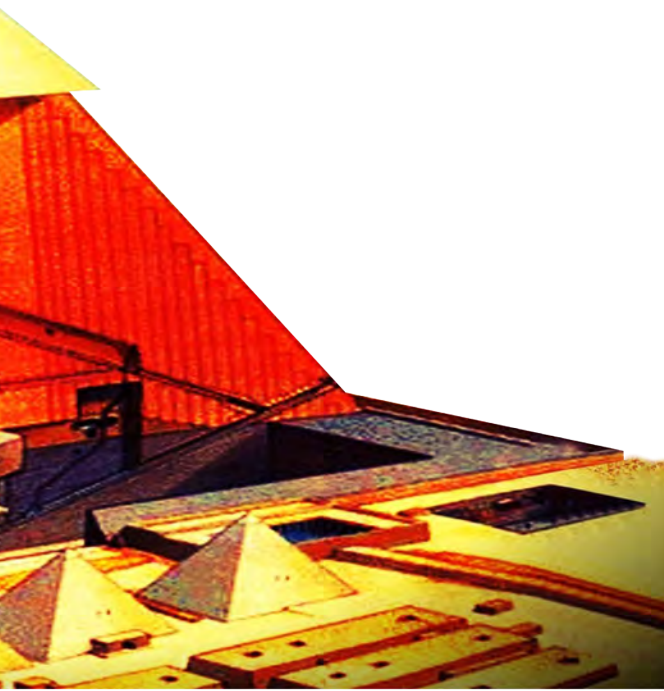
وزار ابن جبير مصر سنة ٥٧٨هـ-١١٨٣م، فكتب عن الأهرام قائلاً: قد أقيمت من الصخور العظام المنحوتة، وركبت تركيباً هائلاً بديع الإلصاق دون أن يتخللها ما يعين على إلصاقها، أما سبب بنائها ففيه اختلاف؛ فمنهم من يجعلها قبوراً لعاد وبنيه، ومنهم من يزعم غير ذلك.

### الأهرام في الأساطير

وفي رحلته الشهيرة إلى مصر سنة ١٣٢٥م، ذكر ابن بطوطة الأهرام قائلاً: وهي من العجائب المذكورة على مر الدهور، وللناس فيها كلام كثير وخوض في شأنها وأولية بنائها.. حيث يُزعم أن جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان، أخذت عن هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى، ويسمى أخنوخ أي إدريس عليه السلام؛ وهو أول من تكلم في الحركات الفلكية والجواهر العلوية، وأول من بنى الهياكل ووحده الله تعالى فيها، وأنذر الناس بالطوفان، وخاف ذهاب العلم ودروس الصناعات، فبنى الأهرام والبرابي وصور فيها جميع الصناعات والآلات، ورسم العلوم فيها لتبقى مخلدة.

ولعل أقدم ما وصل إلينا من كتابات قدامى المؤرخين عن الأهرام، ما أورده أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي الذي أقام في مصر سنة ٨٤٩ إلى ٥٠٦هـ، حيث كتب "الرسالة المصرية" في وصف رحلته إلى مصر وإقامته فيها، وكان مما قاله عن الهرم: إنه جسم جسيم من أعظم الحجارة، مربع القاعدة مخروط الشكل، ارتفاع عاموده ثلاثمائة ذراع ونحو سبعة عشر ذراعاً، يحيط به أربعة سطوح مثلثات متساوية الأضلاع طول كل منها أربعمئة ذراع وستون ذراعاً.. ورأينا سطوح كل واحد من هذين الهرمين مخطوطة من أعلاها إلى أسفلها بسطور متضابطة (متوازية) من كتابة بانيتها، لا تعرف اليوم أحرفها ولا تفهم معانيها.

وفي رواية أبي الصلت ما يؤيد الرأي القائل بأن أهرام الجيزة كانت في الأصل مغطاة بطبقة من الجص الأملس، عليها كتابات هيروغليفية. وقد أتت الأيام على هذه الطبقة الخارجية التي يدل على وجودها كذلك قول أحد الشعراء:



حسرت عقول أولي النهى الأهرام  
واستصغرت لعظيمها الأجرام

ملس موثقة البناء شواهدق

قصرت لعال دونهن سهام

ويلخص المؤرخ المصري ابن إياس (١٤٤٨-)

١٥٢٣م) أقوال معاصريه ومن سبقوه، فيعطينا صورة

للأقوال الشعبية عن بناء الأهرام، وهو في ذلك ينقل

عن ابن وصيف شاه؛ أن سورنيد بن شهلوق هو الذي

بنى الهرمين العظيمين بمصر قبل الطوفان بثلاثمائة سنة،

وكانت الكهنة تنذر الناس بأمر الطوفان، فبنى سورنيد هذه

الأهرام وأودع فيها أمواله وتحفه وكتبه النفيسة في العلوم

الجليلة وقال: "إن مضى الطوفان ونحن في الدنيا فترجع

إلينا أموالنا وذخائرنا، وإن نحن متنا في هذا الطوفان

فتكون هذه الأهرام قبورًا لأجسادنا". وقال ابن الحكم:

"لم أجد عند أحد من أهل المعرفة عن الأهرام خبرًا يثبت

بانيها وفي أي وقت بنيت وما السبب في ذلك".

على أن المؤرخين القدماء لم يُقْتَمَّهم أن يتحدثوا عن

حقيقة المقصود ببناء الأهرام، فنجد السيوطي يقول:

"والظاهر أنها قبور ملوك الأوائل، وعليها أسماؤهم

وأسرار الفلك والسحر".

ويعتبر جمال أبو جعفر الإدريسي المتوفى ٦٧٦هـ،

هو الوحيد الذي ألف عن الأهرام مؤلفًا خاصًا هو

رسالة صغيرة الحجم جملة الفائدة، عنوانها "أنوار علو

الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام"؛ ألفها للملك

الكامل محمد الأيوبي.

### الخليفة المأمون أول من دخل الأهرام

لقتت الأهرام أنظار القوم بعجائبها واستهوتهم بأسرارها،

فكان من الطبيعي أن يحاول الرجل منهم الولوج إلى

داخلها، ولعل من أوائل من فعل ذلك الخليفة العباسي

"المأمون"؛ في زيارته لمصر سنة ٢١٧هـ، إذ نجد ذلك

في "الرسالة المصرية" وفي "حسن المحاضرة" وفي

"أنوار علو الأجرام"، وفي رحلة ابن بطوطة، وكذلك

عند ابن إياس وغيرهم.

يقول ابن إياس نقلًا عن الكندي المؤرخ: "لما دخل

المأمون مصر رأى الأهرام، فأمر بفتح الهرم الأكبر، فلما

انتهى فيه إلى عشرين ذراعًا، وجد فيه مظهرة خضراء فيها

ذهب مضروب، زنة كل دينار أوقية من الذهب، وكان

عدها ألف دينار، فتعجب المأمون من جودة ذلك وقال:

"ارفعوا حساب ما قد صرفناه على فتح هذه الثلثة"، فوجد

الذهب الذي أصابه في المظهرة بقدر ما أنفق على الثلثة

لا يزيد ولا ينقص، فتعجب من ذلك العجب وقال: "كأن

هؤلاء القوم بمنزلة لا ندرکہا نحن ولا أمثالنا".

ويشرح لنا ابن بطوطة طريقة فتح الثلثة قائلاً:

"كانوا يوقدون عليها النار، ثم يرشونها بالخل ويرمونها

بالمنجنيق، حتى فتحت الثلثة التي بها إلى اليوم".

ومن طريف ما نجده في كتاب الإدريسي، أن

المأمون عندما زار الأهرام ورأى ما بها من نقوش

وكتابات رغب في ترجمتها، فلم يجد مترجمًا يترجم

عنها ويعرب عن معجم ما استعجم منها، غير أيوب

بن سلمة، وهو شيخ من شيوخ المصريين، دل المأمون

الحكماء عليه، وأشاروا بأجمعهم إليه في معرفة حل

أشكال حروف الأقلام البرباوية (الهيروغليفية)، فترجم

للمأمون ما كان على الهرمين وعمودي عين شمس

(المسلتين)، وما كان ذلك في الكتاب المعروف بكتاب

"الطلسمات الكاهنية".

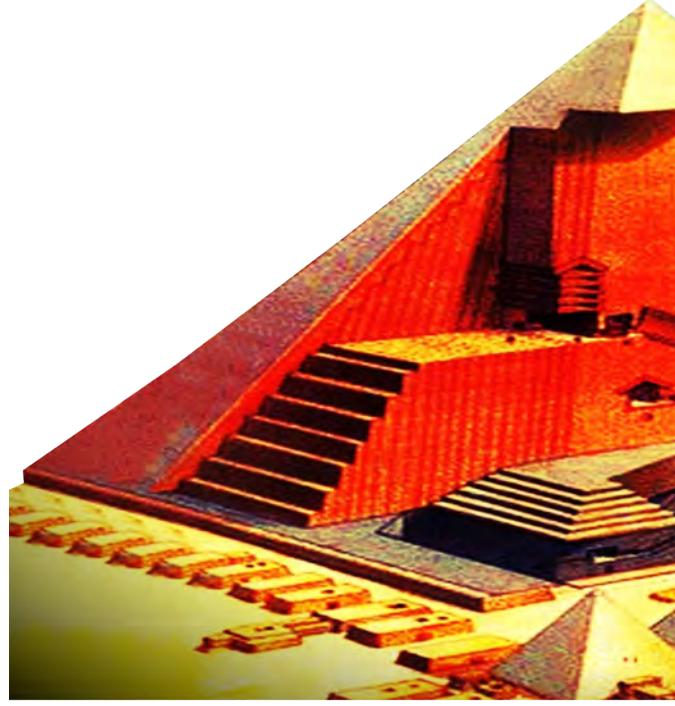


الحوض وسط الهرم، ثم يقنطر عليه البنيان والأقباء، ثم يرفعون البناء على هذا المقدار الذي ترونه، ويجعل باب الهرم تحت الهرم، ثم يحفر له طريق في الأرض بعقد أزج، فيكون طول الأزج تحت الأرض مائة ذراع وأكثر، ولكل هرم من هذه الأهرام باب يدخل منه على ما وصفت. فقول له: فكيف بنيت هذه الأهرام الملموسة، وعلى أي شيء كانوا يصعدون وبينون؟ وعلى أي شيء كانوا يحملون هذه الحجارة العظيمة التي لا يقدر أهل زماننا هذا على أن يحركوا الحجر الواحد إلا بجهد إن قدروا؟ فقال: كان القوم بينون الهرم مدرجًا ذا مراقٍ كالدرج، فإذا فرغوا منه نحتوه من فوق إلى أسفل، فهذه كانت حيلتهم، وكانوا مع هذا لهم صبر وقوة وطاعة لملوكهم وديانة. فقول له: ما بال هذه الكتابة التي على الأهرام والبرابي لا تقرأ؟ فقال: دثر الحكماء وأهل العصر الذين كان هذا قلمهم، وتداول أرض مصر الأمم، فغلب على أهلها القلم الرومي كأشكال الأحرف للروم، على حسب ما ولدوا من الكتابة بين الرومي والقبطي الأول، فذهبت عنهم كتابة آبائهم.

وما ذكرناه هو قليل من كثير مما تذخر به كتب التراث العربي عن الأهرام، كلغز مبهم يخفي في أعماقه الكنوز والذهب، وغير ذلك من قصص وأساطير ذلك العهد. عمومًا فقد قدمت كتب التراث صورة حقيقية للأهرام خاصة الكساء الذي يكسوها. وما نقش عليه من كتابات فرعونية، سقط كله بفعل الزلازل والعوامل الجوية، وما إلى ذلك.

لكن لغز الأهرام لم ينته، فلا يزال اللغز قائمًا وإن تحول من الكنوز والذهب وسر البناء، إلى أبحاث ودراسات معاصرة تتناول الأهرام وسر قوتها الخارقة، ولما لها فعل السحر في شحذ شفرات الحلاقة وحفظ الأجساد الميتة، وكأنها محنطة وأن بها قوة مغناطيسية، أو كهرومغناطيسية تؤثر على المادة وبلورتها. وقد تأسست هيئة لتجميع بحوث الهرم في واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٣م، لتقديم ورعاية البحوث التي تنسب إلى هرم خوفو الأكبر بالذات. ■

(\*) كاتب وأكاديمي / مصر.



ولئن صحت رواية الإدريسي، فإن معناها أن الحروف الهيروغليفية كانت مقروءة ولو لواحد من العلماء إلى عصر المأمون، وأنها لم تستعجم على جميع الناس إلا بعد ذلك، إلى أن حل رموزها من جديد شامبليون الفرنسي سنة ١٨٢٢م.

ومثل هذا الموضوع ليس بغريب على المأمون الذي عرف بحبه للأدب والعلوم، وفي عصره ازدهرت الترجمة عن اليونانية والسريانية وغير ذلك، حتى عده الغربيون "أوغسطين العرب".

وقيل إن الطوفان أغرق مصر في زمن الملك قرعان بن ميسور، وبلغ ارتفاعه ربع الهرم، وما زال أثر الماء يرى عليه إلى اليوم، أما أهرام دهشور فينسب بناؤها إلى قفطاريم.

وحكي أن أحمد بن طولون، بلغه في سنة نيف وستين ومائتين، أن رجلاً بأعالي صعيد مصر له ثلاثون ومائة سنة من الأقباط يشار إليه بالعلم، فسأله ابن طولون عن بناء الأهرام فقال: إنها قبور الملوك، وكان الملك منهم إذا مات وُضع في حوض حجارة يسمى في مصر والشام "الجرن" وأطبق عليه، ثم بينى من الهرم على قدر ما يريدون من الارتفاع الأساسي، ثم يحمل



## تاقت نفسي إلى خلاصك (من مزامير داود)

تُطرح في أوساط المهتمين بالقضايا الدينية تساؤلات بشأن الدور الوظيفي للمخزون الروحي للأديان في بثّ السكينة في مجتمعات تعاني من حالات الثوران، وذلك في ظرف مشوب بالارتباك والاضطراب. فهل بوسع نهج التصوف وسائر التجارب الروحية، الإسهام في تخفيض منسوب القلق والخوف والعنف الذي يجتاح عالمنا؟ صحيح أن التجارب الدينية متنوعة، ولكن يبقى التطلع الجوهري لمختلف أصنافها متلخّصًا في السعي لدحض القلق العميق الذي يكتنف عالم الإنسان، أو بحسب تعبيره "هايدغر" لتخفيف وطأة الوجود الذي فُذف فيه وأسلم للموت.

ففي أدبيات الدراسات الدينية المنضوية تحت علم الأديان، صيغت جملة من التفسيرات بشأن طبيعة التجربة الدينية

وفحواها، هل هي فطرية أم اجتماعية أم نفسية؟ بلغ فيها الأمر حدّ اعتبار الدين حالة باثولوجية، لكن ما هو ثابت وملزم في هذه الرحلة الوجودية، التصاقها بأطوار الكائن البشري منذ أمد بعيد، وهو ما أوحى بنعت الإنسان بـ"الكائن المتدين" (Homo Religiosus). لكن التجربة الروحية في خضمّ التجارب الطقوسية والتشريعية والاجتماعية هي ما يعيننا بالأساس، بوصفها تجربة ذوقية تجلّي من خلالها الدين، فهل ثمة حاجة فعلية لذلك الخيار في راهننا؟ إذ صحيح أن مجمل الأديان، وحتى التي لا ينطبق عليها مفهوم الدين المتكامل، قد شهدت في أحضانها منشأ ظاهرة التسامي الروحي بين صفوة من أتباعها، ممن يذهبون إلى غور الإيمان، يتغنون وجهه الكريم ولا يقفون عند حدود المرئي الطقوسي أو التعيد العقدي، وقد رُصد ذلك سواء لدى شامان سيبيريا أو لدى نساك الصحارى، مرورًا بتقاليد دينية أخرى.

### موسيقى الروح الجامعة

حيث يسود في أوساط تلك الصفوة انسجام مع الكون، وتغمر حلقاتهم أجواء سكيّنة وفيض محبة، ما يشي بوحدة نبضات قلب الروحاني وتوهّج روحه وإن تضاءت المسافات وتباينت المجتمعات. ويتلخّص عمق التجربة في حضور فاعل في الوجود، عماده المحبة والإجلال للكون وما حواه، وليس حضورًا سلبيًا باهتًا. إذ ثمة انسجام للأنا مع الكون يصحبه رضا السالك. ولو تمعنا الأمر فمفردة "Mystique" في اللغات الغربية التي عادة ما تترجم إلى العربية بالتصوف، هي معراج نحو العجيب ومرقى مؤداه إلى الجليل، تطبع سالكه روح شفافة يضيئها العشق، لما يكابده من شجن من شروط عيشنا وضيق تصوراتنا، مدفوعًا في ذلك بالشوق والوله عبر تطوافه.

في هذا السياق، تمثّل "موعظة الجبل" في التراث الإنجيلي مشروعًا روحيًا خالصًا، يتأسس في ضوئه الترقّي الروحي الأكبر. فلا يمكن الحديث عن قرب لله تعوزه المحبة، حيث تحدد تطويبات موعظة الجبل -طوبى للمساكين.. طوبى للحناني.. طوبى للودعاء.. طوبى للجوع

## بحنا عن الغنى الأكبر

من هذا الباب أغوى الزهد طائفة الصوفيين، ليس إعرافاً عن عرض الحياة الدنيا وهو في متناول أيدي كثيرين، بل احتجاجاً على عالم يدنسه الحيف ويستنزفه الجشع. القديس الكاثوليكي "فرانسيس الأسيزي" سليل الأثرياء، تركزت دعوته في مستهل تجربته الروحية في الزهد بوصفه نمط حياة المسيح. سعى جاهداً في تقليد "الناصرى" والسير على منواله، أملاً في الإمساك بروح المسيحية. هكذا توهم "الأسيزي" أو سمع أو ألهم: "قم يا فرانسيس ورمم بيتي المتداعي للسقوط"، ناداه المسيح بتلك العبارات في كنيسة سان داميان، فانقلبت حياته رأساً على عقب، وهجر حياة الفرسان مختاراً أن يكون في كوكبة "فرسان الودعاء" ليفوز بالملكوت، وهو ما دفعه إلى هجران زينة الحياة والعيش في فاقة. ولعل ما فاقم أزمة فرانسيس حينها، عودته الخائبة من بلاد "الميرامولينو" في المغرب، التي طلب فيها الشهادة فلم يفز بمراهه، فارتد عنفاً وقمماً على هيكل جسده لإنهاكه. لكن الأسيزي وفق فرويد، ليس ضحية جنون بل ضحية وهم، فالاعتقاد الأسرى في المسيح ليس مثبتاً ولا مدعماً، بل يستجيب ويتلازم مع رغبة باطنية، ولا أحد منا قادر على أن يعيش بدون أوهام.

يُبد أن ذلك الشجن الأسر المستحکم بذات الصوفي، جعل ثلّة من علماء النفس يصنفون الأمر ضمن الباثولوجيات المرضية؛ ولكن التصوف مرضٌ جميلٌ في عالم نحسبه معافى، وفي واقع يطبعه خواء روحي يفتتح على هوة غائرة لا يراها إلا أصحاب الأرواح الشفافة ممن يسعون بنور الحق.

والجلي أن الصوفي خلال رحلته تلك، غالباً ما يغرق في هاجس إنهاك الجسد بالرياضات الروحية بدعوى التطهر والتسامي، وهو بالأساس احتجاج عميق على انحصار الإنسان في الظاهر وغفلته عن جوانبه وعلوه. لذلك مثل التصوف من منظور سوسولوجي زفرة احتجاج للروح في عالم مضطرب يبحث عن تماسكه. فإثناء تفاقم أزمة الإمبراطورية الرومانية انتشرت ظواهر الزهد والنسك والاعتكاف. وفي الشرق نشأت في

والعطاش.. طوبى للرحماء.. طوبى لأنقياء القلوب.. طوبى لصنّاع السلام.. طوبى للمطرودين- التي صدح بها المسيح، المنطلق الجوهري لتطهير الكائن. ولذلك منذ عهد الإمبراطورية الرومانية التي عايشها الناصري إلى لاهوت التحرر الحالي في أمريكا اللاتينية ثمة محورية روحية لموعظة الجبل.

من جانب آخر، تبدو صرخة المسيح وهو يُجرّ إلى الصليب، أسرة لعديد الصوفيين في التراث المسيحي: "إيلي إيلي لِم شُبقتني"، أي "إلهي إلهي لِم تركتني"، وهي صيحة جزع وفتح تفرغ مسمعي السالك الرباني في خياره الروحي وفي معارجه الطهري. حيث يتحول التسامي إلى تجربة يكابد فيها المرء الفزع الأكبر، وهو عمق الاختبار وفق "جون دي لاكروا"، لكن تلك التجربة ترفقها حالة وجد يعيشها الصوفي، "نحن في نعمة لو علمها الملوك لجالدونا عليها" كما لخص فحواها إبراهيم بن أدهم في قوله المأثور. إذ ثمة كبّد مرفوق بوجد جارف يستحوذ على الصوفي، "ركعتان في العشق لا يصح وضوءهما إلا بالدم" كما قال الحسن بن منصور الحلاج. وهي أوضاع كونية ارتوى أهلها من نبع واحد، حيث نجد "تريزا الأفيلية" تصف تلك الحالة بقولها: "الوجد قضاء لا مردّ له، تُتزع فيه الروح من الثرى بيد الله كما تختطف الكواسر طريدها دون أن تدري إلى أين المساق. وبالتالي لا بد من رباطة جأش لمتابعة المسار، إذ غالباً ما حاولت دفع الوجد، مقدّرة أنه وهم، ولكنني أجد نفسي صريعة كأني أعالب مارداً".

في هذا الترقى الروحي ميّز المفكر الكاثوليكي "روبرت شارل زاهنر" بين تصوف طبيعي منقوص، وتصوف ما فوق طبيعي مكتمل. حيث الأول وإن لازمه تسامي الروح التي تعانق الحرية والانفتاح على المعرفة، فهو ينتهي إلى حدود الخلط بين ذات الكائن المحدودة وذات الألوهية المطلقة؛ في حين الثاني هو تصوف يخرق حجب الأسرار في علاقة المحبة الواصلة بين الباري وعبده، بما يشبه الصحراء الساكنة التي لا مكان فيها للاختلاف كما تجلى الأمر للمعلم "إيكهارت".



يلوح دربُ الروح الواصل بين شتى التجارب  
الدينية الأوفر حظًا في التقريب بين مختلف  
المؤمنين، وإن هناك وردًا موروثًا يطلبه الجميع  
وإن حجبه الأضاليل وسدته العراقيل، إنه درب  
المحبة والتطلع إلى سنا وجهه الكريم.

حياه

استحوذت العمودية على الرهبان البيزنطيين. فالقديس  
سمعان العجوز قارب السبعين عامًا، أمضى منها تسعة  
وثلاثين على العمود، وكذلك القديس "دانيال" الذي  
عاش أربعة وثمانين عامًا، في ثلاثة وثلاثين منها مسكنه  
العمود، والقديس سمعان الشاب الذي وافته المنية عام  
٥٩٧م بعمر يناهز الستة والسبعين عامًا قضى منها ثمانية  
وستين عامًا فوق أحد الأعمدة.

ولفرط وعورة ذلك الدرب أحيطت حياة المتصوفة  
بالخوارق شرقًا وغربًا؛ ف"بوذا" الذي يقتات بحبة  
أرز يقابله الروحاني المسيحي القانع "بيرشام" (خبز  
القداس)، وهو ما لا يسد رمق حشرة. ولكن هذه الغرائبية  
في السلوك الصوفي ووفرة الكرامات المذهلة إلى حد  
الريبة، ينبغي ألا تحول دون البحث عن جوهر التصوف  
وسط ركام العجائبي بوصفها ظواهر تتفسر ضمن أدوات  
الأنثروبولوجيا والسيكولوجيا. فالقديسة "تريزا الأفيلية"  
المولودة سنة ١٥١٥م، عقب ثلاثة قرون من وفاتها وجد  
قلبها معافى، والراهبة "مارت روبين" المولودة ١٩٠٦م،  
عاشت خمسين سنة دون أن يغازل جفنها النوم كما يروى.  
يلوح دربُ الروح الواصل بين شتى التجارب الدينية  
الأوفر حظًا في التقريب بين مختلف المؤمنين. وفي  
الغرب المعاصر تهفو قلوب كثيرة للتصوف الإسلامي،  
وللروحانيات البوذية والطوية والهندوسية، برغم  
الاضطرابات الجارية في فضاءات تلك التقاليد والمشظية  
في العالم رعبًا وهولًا. ما يعني أن هناك وردًا موروثًا  
يطلبه الجميع وإن حجبه الأضاليل وسدته العراقيل، إنه  
درب المحبة والتطلع إلى سنا وجهه الكريم. ■

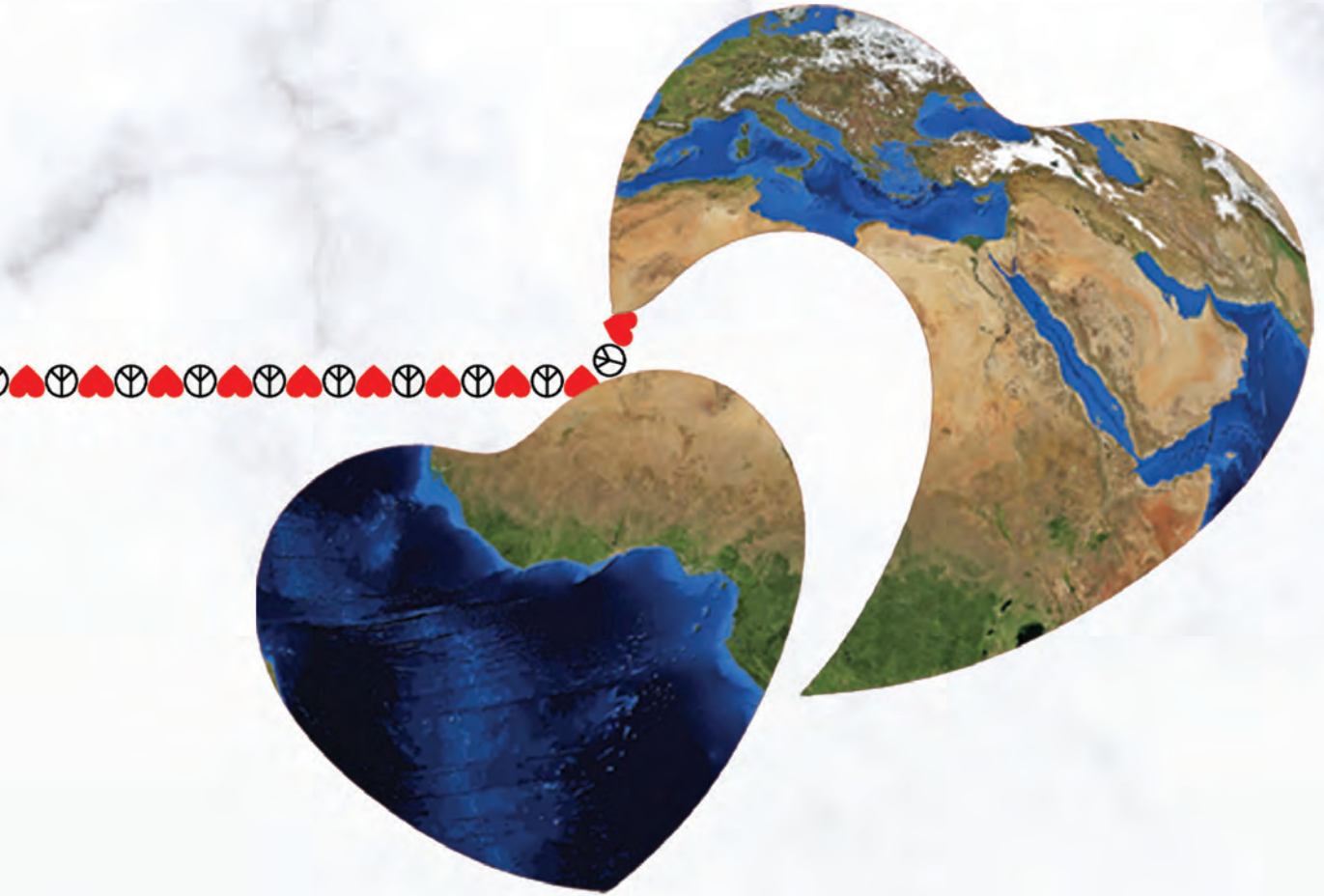
(\*) أستاذ بجامعة روما / إيطاليا.

التصوف المسيحي أكثر الأشكال غرابية في ترويض  
الجسد وكبح جماح النفس. يروي لنا المؤرخ الإيطالي  
"جورج رافينياني" صفحات جميلة عن ذلك الفوران  
في كتابه "الحياة اليومية في نهاية العالم القديم". فقد  
كان يعقوب السوري يقف تحت الثلج المتساقط أيامًا  
حتى يغمره؛ وكان أحد مجايله يقيم الليل حاملًا على  
كاهله جذوع الشجر. أما "ماكاريوس الإسكندري" فكان  
يطلق النوم بقصد تعزيز قدرات التزهد لديه. وصادف  
أن لسعته بعوضة وهو قابع في صومعته، فسحقها بيده:  
لكنه أدرك للتو أنه مذنب فأدان نفسه بالوقوف ساكنًا  
عاريًا في مستنقع فريسة للبعوض. أما القديس "سمعان  
العمودي" ففي بداية موسم الصوم الكبير، عزل نفسه  
داخل صومعته بجدار ومعه عشرة أرغفة خبز وإبريق  
ماء، وبعد أربعين يومًا وجدوه على وشك الهلاك ولم  
يكن مسّ طعامه طيلة الوقت. كانت الغاية من تلك  
المعاناة تهدف إلى التحكم بالعواطف.

#### الرياضات الروحية فنون

كما يعود الفضل إلى الشرق في نشوء مختلف أشكال  
الترويض للجسد على غرار الرهبان "أكلي النباتات"  
(Boskoi)، الذين يهيمون في الصحارى كالأنعام،  
و"الشجريون" الذين يتخذون من الأشجار سكنًا،  
و"العموديون" الذين تنحدر تسميتهم من العبارة اليونانية  
(Stylos) أي العمود. فقد اختار هؤلاء الخلو فوق  
الأعمدة على علو شاهق طلبًا للتزهد. كانت الممارسة  
قد نشأت في سوريا بمبادرة من القديس سمعان الكبير،  
الذي اعتلى عمودًا قرب أنطاكية عام ٤٢٢م، ومكث  
هناك حتى وافاه الأجل عام ٤٥٩م. وكما كان العهد  
بالكثير من معاصريه، صُعب يومًا بفقرة من الإنجيل  
فقرر الانعزال. بعد قضاء ثلاثة أعوام في صومعة،  
تحول سمعان إلى تلة قريبة (تدعى اليوم قلعة سمعان)،  
فشيّد جدارًا دائريًا موضع بداخله مكبلاً قدمه بسلسلة  
طويلة مثبتة بحجارة ضخمة من طرفها الآخر: هكذا  
حبس نفسه ليكرّس وقته للتأمل، وما فتى أن خطر بباله  
يوما تسلق عمود، فكانت هذه البداية العرضية لشكل  
من التزهد صار تقليدًا يحتذيه كثيرون في بيزنطة، حتى

hiragate.com



# العمق السلمي للإسلام

أتى الإسلام ليؤكد على الأخوة الإنسانية، ويبيّن أن الناس أسرة واحدة مع تنوعهم واختلافهم، فقد توجه القرآن إلى الإنسانية كلها من خلال قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: ١٣)، وليؤكد وحدة الأصل الإنساني؛ لأن الناس بكل اختلافاتهم وتعدداتهم، وتباعدهم في المكان والزمان، إنما يرجعون إلى أصل إنساني واحد. إنه تأكيد على التنوع بين البشر، وبيان



ضرورة التعاون والتواصل والتكامل بينهم ﴿لَتَعَارَفُوا﴾؛ فتنوع الناس إلى شعوب وقبائل، وتوزعهم في الأرض لا يعني أن يتفرقوا وتتقطع بهم السبل، ويعيش كل شعب -وأمة وحضارة- في عزلة وانقطاع، كما لا يعني هذا التنوع أن يتصادم الناس ويتنازعوا لأغراض مختلفة<sup>(١)</sup>. إن مفهوم ﴿لَتَعَارَفُوا﴾، يؤسس للحوار والتعاون والتكامل والسلام، وإن في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) معنى إنسانياً وافياً، لا يدع مجالاً لذرة من الريب في أن الإسلام إنما جاء ليمنح البشرية الأخوة والحب والسلام<sup>(٢)</sup>.

إن رسول الله ﷺ أرسى معالم العيش المشترك من خلال هذا النموذج الحضاري، الذي تجسد في مجتمع المدينة، ورسخ لاحترام التعددية الدينية، وعدم إكراه أحد على الإسلام، "إنه منذ عقود والعالم كله يسعى بدوله ومؤسساته ومنظّماته إلى تحديد الأسس والقواعد التي تنظم حقوق الأفراد وواجباتهم، وترسم حدود العلاقات البينية بين الأفراد من جهة، وبينهم وبين الدولة ومؤسساتها وهيئاتها من جهة أخرى، وهو ما يمكن تسميته "الحق في المواطنة". ومفهوم حق المواطنة يقوم على أساس المساواة في الحقوق والواجبات، دون النظر إلى الانتماء الديني، أو العرقي، أو المذهبي، أو أي اعتبارات أخرى، فالاعتبار الوحيد هنا هو الإنسانية والمواطنة.

لقد عرف الإسلام هذا الحق ورسخه منذ ما يربو على أربعة عشر قرناً، حيث وجد النبي ﷺ -بعد هجرته إلى المدينة وإقامته للدولة- عقائد مختلفة وقبائل شتى؛ ففي المدينة كانت اليهودية والشرك، وعلى أطراف الدولة كانت النصرانية، وفي ظل هذا التنوع وضع رسول الله ﷺ "وثيقة المدينة" كأول دستور للدولة المدنية في العالم؛ للتأكيد على عدم التفرقة بين مواطنيها من حيث الدين أو العرق أو الجنس.. وتعد صحيفة المدينة أول دستور ينظم العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين<sup>(٣)</sup>.

إن جميع الوثائق والكتب التي أرسلها النبي ﷺ لملوك الدول وحكامها آنذاك، تدل على أن أساس التعامل مع المجموعات الدينية الأخرى هو التسامح، وإباحة إبقاء أهل الأديان على عقائدهم دون إلزامهم باعتناق



لقد أكد الإسلام أن السلام والأمان من أسس علاقة المسلمين بغيرهم، لتهيئة أجواء التعاون والتعارف بين الناس، وعمل على ترسيخ السلام، حتى إنه لم يجعل المخالفة في الدين سبباً للعداوة.

حذاء

الإسلام، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

لقد تميز الإسلام برفضه فلسفة الصراع؛ لأن الصراع يُقوّض التعايش، ويلغي التعددية والتنوع، ويؤدي إلى رفض الآخر ونبذه وإقصائه، واغتياله معنوياً ومادياً.. ولذا عمل الإسلام على بناء جسور التواصل والثقة مع جميع الناس، من خلال احترام عقائدهم وعدم إكراههم على تركها، وآية ذلك بقاء غير المسلمين -سواء أكانوا من أهل الكتاب أم من غيرهم- على عقائدهم بين المسلمين، ومشاركتهم في الشؤون العامة في المجتمعات المسلمة، وعدم اضطهادهم أو كرههم بسبب معتقداتهم.

إن احترام الإنسان وتكريمه، لا يعتمد -في نظر الإسلام- على دينه أو مذهبه أو فكره أو جنسه أو كونه أبيض أو أسود، بل على إنسانيته فقط، دون النظر إلى شيء آخر: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٠).

ولذا، فإن الإسلام لم يطلب من غير المسلمين أن يتركوا معتقداتهم ليعتنقوا الإسلام، ولم يأمر بقتلهم تحت أي دعاوى أو ظواهر عدائية، مثل "الإسلاموفوبيا" التي ظهرت في أوروبا، فلم تظهر في المجتمعات الإسلامية مصطلحات مثل "المسيحية فوبيا" أو "اليهودية فوبيا"، كما لم تكن هناك فزاعة للخوف من الأديان أو المعتقدات الأخرى.

لقد أكد الإسلام أن السلام والأمان من أسس علاقة المسلمين بغيرهم؛ لتهيئة أجواء التعاون والتعارف

بين الناس؛ ولذا عمل على ترسيخ السلام، حتى إنه لم يجعل المخالفة في الدين سبباً للعداوة، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المتحنة: ٨).

إن الإسلام لم يطلب من غير المسلمين إلا أن يكون ولاؤهم للوطن الذي يعيشون فيه، وينعمون فيه بالاحترام وحقوق المواطنة. ولم يكن هذا المبدأ في التعايش مقصوراً على أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وإنما انسحب على غيرهم من أرباب الديانات الوضعية، مثل المجوس وغيرهم؛ فقد تحققت لهم الحرية في ممارسة عبادتهم وحياتهم، وتمت معاملتهم معاملة أهل الكتاب تطبيقاً للتوجه النبوي: "سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ"<sup>(٤)</sup>. ومن خلال التجارب التاريخية للعيش المشترك بين المسلمين وغيرهم، تحققت التعاون والتكامل، ومن الشواهد على ذلك، الإسهامات الحضارية لغير المسلمين في بناء الحضارة الإسلامية، والتعاون مع المسلمين في المجالات الحضارية المختلفة.. فهل كان من الممكن أن يتم ذلك، في أجواء العداوة والكرهية وعدم قبول الآخر؟

إن ما يطلق عليه "صراع الأديان" أصبح من أهم التحديات التي تواجه البشرية، وتهدد السلام في المجتمعات الإنسانية؛ لأن اختلاف الأديان لا يمكن أن يكون سبباً للحروب والصراعات بين أتباع الأديان المختلفة. وتؤكد النظرة الموضوعية أن الأديان وتعاليمها ليست سبباً في الحروب، وإنما السبب هو التوظيف السياسي للدين، وكذلك الأطماع السياسية التوسعية التي تُشعل الصراعات، وتتخذ من الدين ذريعة لها<sup>(٥)</sup>.

لقد طلع علينا زُمرة من المفكرين والكتاب، مثل "هنتجتون" الذي أكد أن أساس اختلاف الحضارات هو التاريخ واللغة والتقاليد، ثم قال: "ولكن أخطر العوامل هو الدين؛ لأن كل حضارة تستند إلى رؤية دينية، وإن الصراع الحضاري القادم هو صراع ديني".

hiragate.com

أما "فوكياما"، فقد جاء بمقولته عن نهاية التاريخ، التي تؤكد استقرار النموذج الغربي في الفكر والحضارة، الذي هو أفضلها جميعاً؛ لأنه الوضع الطبيعي الذي سيؤول العالم إليه.

إن الواقع التاريخي لا يؤيد هذه النظريات، لأن الحضارات تزوجت ولم تتصارع، وحدث التلاقي والتواصل بينها، سواء فيما يتعلق بالحضارة الإسلامية واستفادتها من الحضارات السابقة عليها، مثل اليونانية والرومانية وغيرهما من الحضارات الأخرى، أو بالنسبة للحضارة الغربية واستفادتها من الحضارة الإسلامية.

إن نظرية "هنتنجتون" تقوم على ثنائية الصراع بين حضارات الشرق والغرب، وبين الإسلام والمسيحية، وحضارة الغرب ليست مسيحية فحسب، لأنها حضارة تقوم على الرأسمالية؛ حيث الغاية تبرر الوسيلة، وهي حضارة تأثرت -أيضاً- بعدد من كبير من المفكرين المسلمين، مثل ابن رشد، وابن سينا، وابن طفيل، وأبي بكر الرازي، والخوارزمي.. وغيرهم.

كما أن المسيحية ليست غريبة فقط، أي ليست حكراً على أهل الغرب دون غيرهم؛ لأن المسيحيين العرب من النماذج الطيبة للمسيحية، ولهم أدوار كبيرة في أوطانهم، وفي دعم التعايش السلمي. وهناك أعداد كبيرة من المسيحيين العرب الذين يعتزون بالهوية العربية، وكان لهم إسهامات في إثراء الحضارة العربية والشرقية حتى قبل الإسلام.

وهنا يجب أن نؤكد حقيقة مهمة تتعلق بضرورة فهم تعاليم الأديان السماوية، ومعرفة أن الاختلاف في الدين لا يبرر قتل الآخر، أو كراهيته، أو إقصاءه، أو الدعوة والتحريض على طرده ورفضه، والتخويف من دينه، أو اتهامه بالإرهاب.

إن احترام قيم المواطنة وحقوقها وواجباتها، مطلب حضاري عاجل يجب تفعيله واحترامه؛ لأنه يمثل الضمانة الأساسية للتعايش السلمي المشترك بعيداً عن التعصب والتطرف.

إننا بحاجة إلى العمل على بناء ثقافة الإنسان المدرك

لحقيقة التواصل والتداخل بين الثقافات والشعوب، والمدرك كذلك لصعوبة واستحالة الانعزال والتفوق على الخصوصيات الثقافية في ثورة الاتصالات المعاصرة، بغية تأسيس القواعد المعرفية والثقافية للسلام العالمي الحقيقي، القائم على إدراك حقيقة مصدر الوجود الإنساني وغاياته، واتحاد النشأة والمصير والغاية، وبذلك يتضح ما بين الخصوصية والعالمية من اتصال وانفصال.

إننا بحاجة إلى بناء العقلية النقدية القادرة على التفاعل مع جميع مصادر المعرفة وفق قواعد منطقية قرآنية، بحاجة إلى العقلية التي لا تقبل معرفة أو أطروحة بدون دليل معتبر بشروطه، ولا تُخضع المعارف للأيديولوجيات والأوهام، ولا المصالح والأهواء.. وبذلك ينتفي توهم القدرة البشرية على امتلاك الحقيقة المطلقة الكاملة من طرف من الأطراف، ويصبح للجميع شرعية الوجود والتحاور، وتزول فكرة نفى الآخر، ويتضاءل التحيز أو التمرکز العرقي أو اللاهوتي أو الطائفي حول الذات<sup>(١)</sup>.

وبعد، فإننا نؤكد على أن الأصل في العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، هو التعارف والسماحة والتآلف والتكامل، واحترام التعددية الدينية والمذهبية والفكرية، واحترام إنسانية الإنسان. ■

(١) الأمين العام السابق لمجمع البحوث الإسلامية / مصر.

الهوامش

(١) تعارف الحضارات، زكي الميلاد، دمشق، ص: ٦١-٦٣.

(٢) نظرات في الإسلام، د. محمد عبد الله دراز، ص: ١٠٤.

(٣) النماذج الأربعة من هدي النبي ﷺ في التعايش مع الآخر - الأسس والمقاصد، أ.د. علي جمعة، ص: ٣٦-٣٧.

(٤) موطأ مالك، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي ٣٩٥/٢، ط ١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٥) التراث المسيحي الإسلامي، د. ليلي إبراهيم نكلا، ص: ٦١-٦٢.

(٦) التعليم الديني بين التجديد والتجميد، د. طه جابر العلوانى،

دار السلام للنشر والتوزيع، القاهرة، ص: ٨٤-٨٥.

## آخر الترحال

عزلة في الداخل وأخرى في الخارج، وكأنني من العابرين السُّرأة ليلاً وقد اختفوا في أول جُنْح الظلام مع المطر والضباب الكثيف.. اغترابٌ متعدّد.. كم تؤرّقني هذه الوحدة والغربة التي تجتاحني وكأنه ليس لي عنها مهرب.. وأصرخ في عزّلي.. غريب أينما حللت، أدور في صخب الذهاب السريع من مكان إلى مكان.. غربة اعتدتها منذ صغري، تنقلات تلو أخرى وقد ضاقت ملاعبي في آمالٍ مشرّدة.. سَفَرٌ في كل حين، ووجوهٌ بلا عدد، ومدن لا تنتهي، وضجر ملازم، وجمر

ع



كيف يفرح بالدينا من يومه يهدم شهره،  
وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره؟!  
وكيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله،  
وتقوده حياته إلى حتفه وموته وما عاشه  
كان كالسراب، وما أعد من جواب؟!

حياه

الحنين، سفر في الأنين.. وفي طول الغياب يأخذني  
ببهجتتي يؤنسني يناجيني يهمس لي: طوبى للغريب  
ومرحى.. ثم يتسربل بي غيابي في هذه الحياة الغريبة  
منذ حملتنا في العربة من بين حقائب ماضيها.. فأغيب.  
أنا الضيف، أنا الطيف، أنا الغريب.. أخرج كالتيم  
ولم أتخير واحدًا من الأصحاب كي يؤنسني في رحلتي،  
لأبدأ من جديد فأحاورني: من أنت؟ وما تريد؟ كمن  
يبحث عن شيء ضائع أو لا وجود له، أو كمن يبحث  
عن إبرة داخل كومة قش! داخلي يرتجف بشكل بارد،  
أتساءل: ما آخر الطريق؟ وهل عرفت أوله؟ وفي الأخير  
بقايا ذكريات لا تبكي ولا تبسم.. سنوات وسنوات بلا  
عدد ولا حساب، والعمر يمضي مثل السحاب، ولم أعد  
أي جواب.. فما أضيّعي.

لقد سئل رجل كم أتت عليك: قال ستون سنة، ف قيل  
له: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ.  
فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون، ف قيل له: أتعرف  
التفسير؟ إن تفسيرها: أنا لله عبد وإليه راجع، فمن عرف  
أنه لله عبد وأنه إليه راجع، فليعلم أنه موقوف، وأنه  
مسؤول فليعد للسؤال جوابًا.

فكيف يفرح بالدينا من يومه يهدم شهره، وشهره  
يهدم سنته، وسنته تهدم عمره؟! وكيف يفرح من يقوده  
عمره إلى أجله وتقوده حياته إلى حتفه وموته، وما عاشه  
كان كالسراب، وما أعد من جواب؟!

وكانتجاج صدى في بئر تتلاحق الموجات داخل  
جسدك، لترتدي اغترابك من جديد.

أنا الغريب، أسأل نفسي، ماذا أفعل هنا؟ أحيانًا  
توشوش في صدري قصص العابرين في صمت وقد  
مروا من هنا دون أن يقولوا كلامًا، أو يصدروا سلامًا،

hiragate.com

واحتراق، وسلام بلا أحباب، وحاضر في الغياب..  
ثم كأنك بلا أثر أو خبر مضخمًا بقلق بال.. يأكلني  
الاغتراب حتى أقسى السية، يؤلمني الاجترار فأجُرُّ  
أقدامي، وحيدًا بلا أصحاب، وحيدًا بلا أحباب، غريبًا  
بلا أهل.. فما أضيّعي!

ثم تطول بي الطريق نحو الآمال التي قطعت أعناق  
الرجال، كالسراب خان من رآه وأخلف من رجاه.. ثم  
أجرُّ أقدامي مرة أخرى من سفر إلى سفر؛ سفر في

أو يتركوا وصايا، لكنهم كانوا يحملون بحياة جميلة، وبمطر دفاق، وبالخبز والورود، وكانوا يتمنون، ويودون أن يظل الناس أطفالاً ضاحكين للأبد.. لكن، ها نحن مازلنا نموت على الكآبة، ونحيا على الغلّ والحقد وسوء الطوايا والنوايا.

وكانت جراح صدى في بئر تتلاحق الموجات داخل جسدك، لترتدي اغترابك من جديد.

أنا الغريب، أسأل نفسي ومن جديد، ماذا أفعل الآن هنا؟

وما آخر الترحال؟ وكل شيء ينهار يذوب يزول وكأنه لم يكن. كأنه رسمٌ على السماء، أو نقشٌ على الرمال، وهم، محضُ سراب، مُتَّعٌ وحياةٌ مليئةٌ بالنعاسة، والعزلة، ممزوجةٌ بالكدر.. وراحتها مقرونة بعناء، شدة ورخاء، نعمة وبلاء، ولا يدوم نعيم ولا رخاء.. ثم هي تنتهي بسرعة البرق، متع مآلها الزوال.. فما آخر الترحال؟ هذا هو السؤال.. هذا هو السؤال.

أحفرُ في ذاكرتي.. أنفض عنها غبار الأسفار الطويلة.. ومرة أخرى أحط رحالي بشطّ الغرباء.. ولم يكن هناك من وجه ليودعني يوم رحلت حتى يكون هنا وجه ليلقاني ولا منديل يلوح لي.. وكأنني سندباد هذا الزمان، وكأنني أكملت الرحلات السبع.. وها هي العشر على الأبواب، وكم أريد، وما عدتُ أخاف الطريق، فأنا الغريب.. ثم نلتقي بعد سنين، فهل سيكون في العيون وجدها، أم نلتقي كالأصدقاء القدامى يودعون أو يسلمون في فتور؟!

أشعر بانقباض لا أدري له سبباً عند كل رحيل، وفي كل مرة يتضاعف أكثر وأشعر كأنه الوداع الأخير. ثم أسأل نفسي: ما دمت قد اعتدت وألفت الفراق، فلم الحزن؟!

ها هو ذا هيكلتي.. فيا وحشة الغربة.. ثم هم قد يسألون: ترى هل عاد من غربته؟ يا لها من غربة طويلة.. يا طولها شوقهم المضطرب والألم، رعشة من وهج الجلال، يتساءلون متى افترقنا؟ متى التقينا؟ أذكر ذاتي حين أزورها تبعدني في خصام! فأجرُ اغترابي طريداً وحيداً غريباً.. ثم يطول بي الطريق من سفر إلى سفر،

سفر في الحنين، سفر في الغياب.. يأخذني بيهجتي يتسربل بي، وقد أغيب عنه للأبد.. وأنا الذي كنت أقول لنفسي لعل الأرض امتصته كما تمتص الماء جرعة جرعة، لكنه ظهر فجأةً كأنقشاع البرق، واختفى بعد ذلك تاركاً بكائيات ومرثيات الريح لمن ودعوا شعاعه وضيائه وبهائه، ولمن أبدعوا من صباية الوجد صبايته، ولمن صنعوا تابوتاً من ضياعه للغياب، يقول فيها: ستأتون تباعاً تقتفون أثري، فأحبابي كلهم مروا من هنا. هذا الذي عرفته، زمناً ضارباً في الغياب، وبحراً كله بحر يقتفي خطى السعد، لكأنه المحال، وما كان لي إلا بقايا ثرثرة.

هذا أنا وهذه متاعبي، كما اليوم، كما الأمس.. وأنت كما أنت، كل شيء جاثم مثل وحش كاسر حطّ على السفح يتربقب نهايته، فيعود للقامة ليستريح هناك.. كلانا شيءٌ من الاحتمال، قد ننزاح في هدوء، وقد حل الأمس محل الغد، والسماء رمادية، وهذه الريح العاتية تدوي بالشتات، توزّعني بين مساءات باردة، هي قادمة لا محالة. وما عليّ إلا أن أستبشر.. فقد يتناهى الغيث المدرار، وتنتح غمامها عند الوقوع على شبايك النوافذ.

غريب أينما حللت، أدور في صحب الذهاب السريع من مكان إلى مكان غربة تلو أخرى وقد ضاقت أبوابي ودروبي وملاعي في آمال وأحلام مشرّدة.. وها هي الأدعية المرضية، وها هو مدد الصبر، وها هي ذي الإشرافات تكتنفي، وكيف يُشتوحش مع الله سبحانه؟! وغير ذلك الباب،

مُحاولتي الأخيرة لأن أكون سعيداً!

وقد هيأت للترحال -من وجع الفؤاد- مراكب،

أشمُ رائحةً الاخضرار، يتسع القلب،

يسكنني النور من بدايته!

أراه بروحي، وبقلبي أراه ويأسرني،

يحملني إلى آفاقه الرخبة،

ولن أخيب، هو الباب الحق حين تُسد كل الأبواب. ■

(\*) كاتب وباحث مغربي.



## ذقت الموت

"احذري! احذري أختي!

الجدار يسقط! وإذا أجدني

بين ركام من الغبار أنجرف نحو



الأسفل وكأن الأرض تبتلعني.. لم أعد أرى ولا أسمع

شيئاً.. وبعد لحظات شعرت ببرودة حطت على قدمي،

ووجدت نفسي تحت أطنان من الأنقاض.. وفجأة بدأت تتوارد

إلى ذهني مقاطع من حياتي كنت قد نسيتهما من زمان بعيد.. يا إلهي،

هل هي النهاية؟ ولكن أنا أخاف الموت! ثم لست مستعدة بعد للموت!





يبدو أن مجرد التخيل والتفكير في الإجابة على هذا السؤال، قد يشعرونا بالقلق والخوف وسط هذا الزحام من الكائنات الحية، وهذا الشعور هو مكمّن الإجابة.

### دعوة للتأمل

بعد رحلة التفكير عن الموت وأهواله، سألت نفسي سؤالاً صريحاً؛ ما الذي تودين قوله وتلخيصه؟ هل تودين إظهار الموت بصورة أقل وطأة مما في وجداننا؟ كانت الإجابة "لا".. فيظل الموت كما قال عنه النبي ﷺ هو "هادم اللذات".. لكنه أمرنا بأن نذكره حتى لا ينشغل الإنسان عن الإعداد لما بعد الموت، وحتى لا نغفل عن الحقيقة المؤكدة بأن "كل نفس ذائقة الموت".

تساءلت أيضاً: لماذا نرى وسط زخم الحياة ومشكلاتها كثيراً من الناس لا يتذكرون الموت إلا إذا ضاقت عليهم الدنيا؟ حيث تراهم يطلبون الموت هروياً من الدنيا وعقباتها! ولماذا لم يكن ذلك حالهم عندما كانوا يستمتعون بمباهج الدنيا؟ فهل تعرضهم لامتحان مفاجئ وتعثرهم فيه سبب يجعلهم يتركون التعليم بأكملها؟ أم كان عليهم أن يفكروا بأن ثمة فرصة ما زالت أمامهم للتطوير والتحسين؟ أليست الحياة في حد ذاتها نعمة تستحق الشكر؟

في حين نرى آخرين لا يلقون بالاً للموت؛ إذ أصبحت الدنيا همهم الأكبر، وكأن لسان حالهم يقول "ما زال متاع الحياة أمامنا". وهل ملك الموت أقرب للمريض من الصحيح وللعجوز من الصغير؟

لماذا -إذن- لم يُطلع الله تعالى أحداً من خلقه على موعد انتهاء الأجل؟ إن في هذا الإخفاء رحمة في حقيقة الأمر، وتحفيزاً للإنسان على فعل الخيرات، علماً بأن حياته قد تنتهي في أية لحظة. فلو أخبرنا الله بموعد الموت، يُحتمل أن نُقبِل إلى التوبة والاستغفار قبل حلول الموعد بأشهر أو ربما بأيام فقط.. في هذه الحالة تنتفي الحكمة من الحياة.

لقد أخفى الله تعالى عنا لحظة الموت ليعلمنا

النظر إلى الحياة بأمل، ويزيل عنا قلق انتظار الموت وهمّه.. ثم نعمل ونخطط ونجتهد ليتحقق بذلك مفهوم الاستخلاف في الأرض وهو الإنشاء والإعمار.

إن الموت من الابتلاءات العظيمة التي يمر بها الإنسان، فيه ثواب عظيم إذا صبر الإنسان واحتسب ورضي بالقضاء والقدر. ولو كان للموت علاج لبراً منه الأنبياء من قبل. ثم وإن بدا الموت في الظاهر ابتلاء، فإنه راحة وخلص للمريض السقيم.

أم أننا نكره الموت خوفاً من فقدان عيالنا وأهلينا؟ الحقيقة، كنت واحدة ممن ينتابهم هذا الخوف إلى حين قراءة هذه الآية بتأمل وتدبر: ﴿وَلْيُخْشِ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (النساء: ٩)، الحل والأمان في "فليتقوا الله".. ولقد كان صلاح الأب في سورة الكهف سبباً في حماية أبنائه من بعده.

إن الخوف من الموت، قد يكون بسبب التقصير في العبادة، أو الخوف من لقاء الله تعالى مذنباً، أو الخوف من المستقبل.. وهو ما يتطلب الدعاء، والفرار إليه سبحانه باتزان بين الخوف والرجاء، يقيناً أنه تعالى رحيم غفور بعباده.

وإجمالاً، إذا كان الموت يعني الفناء، فهو مخيف وبغيض. أما إذا كان يعني الانتقال إلى حياة أفضل في عالم آخر، فهو غير ذلك. فالحياة مجرد معبر لحياة أخروية أبدية تنتظر الخلق، لا تعب فيها ولا كد ولا موت.. حياة بها خلود بلا فراق.. وإذا كان الموت في ظاهره يحمل الفراق والحُرمان، فإنه مهما طال بنا الحياة فإن الفراق حتمي. ■

(\*) كاتبة وباحثة مصرية.

الهامش

(١) كانت هذه هي نظرة الفيلسوف والدكتور مصطفى محمود ورؤيته عن الموت في كتابه "لغز الموت"، حاولت تجميعها بشكل مختصر.



## نحو عالم بلا خوف (١)

الأمن والطمأنينة مطلب إنساني قديم قدم الإنسان نفسه، وهدف أساس تسعى إليه البشرية وتبحث عنه؛ تبحث عن الأمن في حياتها وحركتها وحريتها ووسائل عيشها.. تبحث عن الأمن بكل حدوده وأبعاده، في أنفسها وفيمن حولها مما يحيط بها ويتصل معها بسبب وتدارك البشرية منذ لحظة نزولها على هذه الأرض عناية الله





تدارك البشرية منذ لحظة نزولها على هذه الأرض عناية الله؛ يبعث رسله وأنبياءه ليقرروا الأمن، ويحثوا عليه، ويأمروا به، وينهوا عن كل ما ينال منه، أو يؤدي إلى تقويضه.

حراه

ليس فقط على مستوى الحياة المحدودة التي يعيشها، وإنما على مستوى الحياة الدنيا والآخرة؛ ليضمن الأيمن والسعادة والسلامة في كليهما معاً، وذلك بامتناله لعوامل الأيمن والنجاة، واصطحابه للزاد الذي يقدمه قرابة في سبيل نوال هذا الأيمن.

ومن حيث المكان، فإن الإنسان يتوجه إلى السعي الحثيث لبث الأيمن في أرجاء الأرض، بأوطانها المتنوعة التي تعارف البشر عليها، إذ هو نعمة عظيمة يستروح الناس في ظلها شتى أنواع النعم الأخرى. وأما المستوى الإنساني للشعور بالأيمن؛ فإنه لا يقتصر على تأمين الإنسان مطالب جسده فقط، وإنما يمتد ليشمل الحاجات الروحية والنفسية، فيتخذ من الأيمن البدني سبيلاً لتحقيق الأيمن الروحي، ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش: ٣-٤). وهنا يتساءل إنسان العصر - وحق له أن يفعل - كيف يأمن الناس على أنفسهم وعقولهم وأديانهم وأعراضهم وأموالهم، في ظل احتدام الرؤى وشيوع الأفكار الشاذة التي تقلق قطاعاً عريضاً من الناس؟! من أين يستمد الوجود الإنساني أيمنه وبقائه، وضبط أوجه النشاط والسعي، في ظل تباين التوجهات المعاصرة؟

وتكمن الإجابة ابتداءً، في ضرورة البناء الفكري المنضبط بمقاصد الشرع، كمرحلة أولية، يستتبعها السعي لتحصين هذه الأفكار الرشيدة، وحمايتها من الأفكار المزيفة المدخولة، التي تحاول من حين لآخر، تشويه حقائق الفكر وتعكير صفائه ورونقه.

إن الفكر هو الوقود المحرك للحياة، وغذاؤها الذي يجدد الحركة والنشاط والسعي في أرجاء الأرض؛ فما

يبعث رسله وأنبياءه ليقرروا هذا المطلب الإنساني، ويحثوا عليه، ويأمروا به، وينهوا عن كل ما ينال منه، أو يؤدي إلى تقويضه.

إن قضية الأيمن باعتبارها هدفاً أسمى للوجود الإنساني، كانت مادة أساسية حوتها ودعت إليها الرسالات الإلهية عبر مسيرتها مع الإنسان، بدءاً بسيدنا آدم وزوجه حواء عليهما السلام؛ حيث أتاها الوعد الإلهي عندما أهبطا إلى الأرض، بانتزاع عوامل الخوف والقلق؛ وما يترتب عليه من حزن، بشرط اتباع الهدى، وتجنب الزيغ والضلالة ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٣٨).

لكن وللأسف الشديد، رأينا البشرية في تاريخها الطويل، تخرج على رسالات الأنبياء والمرسلين، وتدخل في صراعات مقبته وخلافات ذميمة؛ زجت بها في اقتتال وتناحر، وسفك للدماء وضياع للأيمن، وتقويض لكل حسن جميل تحتاجه الحياة ويطمع فيه الناس.

وعلاج هذا يتطلب من ذوي العلم والفهم والكياسة والعقل؛ أن تتصافر جهودهم على رد الناس إلى المعنى الجميل الذي خلقوا من أجله وهو التعارف والتآلف والاجتماع والوحدة.

وها نحن أمام زاد فكري نفيس، جادت به قرائح العلماء ذوي الخبرة في مجال البناء الفكري، ومعالجة قضايا التطرف والخلاف، والتحليل العميق لدوافعه وآثاره.

وعند التأمل الفاحص في هذه المقالات مجتمعة، يتضح أنها تلتقي حول قضية وغاية.

أما القضية فهي "الأيمن" بكافة أبعاده ومستوياته، وأما الغاية فتتمثل في كيفية تحقيق هذا الأيمن في صورة خطوات متكافئة، تجمع بين التأصيل النظري والتطبيق العملي.

ويتسع مفهوم الأيمن، طويلاً وعرضاً وعمقاً، ليستغرق الزمان والمكان والإنسان. فمن حيث الزمان يتجه الإنسان لتأمين حاضره، ومستقبله القريب والبعيد،

من عمل إلا ويسبقه فكرة تمده بالنماء والاستمرار. والثروة الحقيقية التي تمتلكها المجتمعات، إنما هي ثروة فكرية في المقام الأول، تغذي مجالات البناء بخطط راشدة، تتحول إلى إعمار وتشبيد.. فإذا أصيبت المجتمعات في فكرها فلا خير يُرجى من ورائها؛ لذا وجب على العلماء أن يؤدوا مسؤوليتهم تجاه المجتمع الإنساني بأكمله، حماية وصيانة للمجتمعات من خطر يهددها، وغوائل تفترس ناشئتها على المدى القريب أو البعيد، خاصة في ظل التحول الذي تشهده المجتمعات على كافة الأصعدة، وكثرة العوارض والتحديات التي تتاب مقصد "الأمن".

ومن هنا يأتي هذا السفر الثمين، من خلال مقالاته الثماني عشر، تلبية لهذه الضرورة المعاصرة، وتأكيدياً على هذه القضية المفصلية في بناء المجتمعات والأوطان، إنها قضية "الأمن" في شتى أبعاده وصوره التي تستغرق الحياة كلها وتعلو فوق الزمان والمكان، كما أنها تتجه إلى تحقيق هذا الأمن من خلال مسارين؛ أولهما المسار البنائي للفكر الصحيح المتوازن، وثاني هذه المسارات اتجاه الحماية والتحصين الذي يحوط البناء بسياج منيع واق من التصدع والانهار.

تستهل المقالات الحديث عن حب الأوطان باعتباره فطرة مركوزة في النفس البشرية، وباعثاً لنشر الطمأنينة والأمن؛ فأساس كل بناء إنما ينبع من قلب تشبّع بالحب للخير والعطاء، بما يدفع الفرد للحفاظ على البقعة التي ينتمي إليها، ويبلغ المجتمع الذروة العليا في الانتماء عندما يصطف أبناؤه في إثبات هذا الانتماء الحقيقي في صورة التعايش الكامل والتماسك المجتمعي، مستلهمين النماذج النظرية والعملية لهذا التعايش من التاريخ القريب والبعيد، والاعتبار بالتجارب والأحداث التي خاضتها المجتمعات.. كما يأتي الحديث عن دور المسؤولية بأبعادها الشاملة، لتثبت أنه لا يخلو أي إنسان من مسؤولية يؤديها - كل حسب موقعه ومكانته في المجتمع - حتى ولو كانت في صورة حفاظ المرء على جوارحه وحمايته

لنفسه وفكره، إذ المسؤولية الفكرية مناط الأمن.

ولمكانة القيم في حياة الأمم، وضرورتها لأمن الإنسان، تُعرج المقالات على القيم الإنسانية وكونها أماناً للبشرية، كما تبحث عن مصادرها واستمدادها، وضرورة أن ترتبط بأصول سماوية، ليلقى لها قدسيها في التطبيق ومحاولة الالتزام بها.

ونظراً لمكانة الفهم الصحيح لرسالة الإسلام، وحقيقة الوسطية التي تنتظم عقيدته وشعائره ومبادئه، يأتي مقال عن "الوسطية" ليلقي الضوء على أثر الوسطية في تبديد كثير من الأفهام الخاطئة التي شوهدت الحقائق، حيث لم يكتف بتأصيلها مفهوماً وتقديم نماذج لها، بل امتد لتصور بنائي ينسج المجتمع منه خطوات عملية لبث الوسطية في قطاعات متعددة من المجتمع، إنها موقع ينطلق منه المسلم، لإعادة بناء ما تهدم، وترميم الذات وتجديدها، لتبقى صلبة لا يؤثر فيها هزات أو محاولات شاذة خارجة عن حقائق الإسلام.

وامتداداً لترسيخ هذه الوسطية، ينتقل المقال التالي لقضية "التوازن الفكري" فإذا كان البعض ممن انحرفوا عن الجادة في فهمهم وتطبيقهم للإسلام قد توهم أن مصادر تلقي المعرفة تنحصر في الدين فقط، فإن الحاجة قاضية ببيان مصدرية استمداد الأفكار والتصورات، وإلقاء الضوء على القيمة المعرفية للمصادر التي يتلقى المرء المعرفة عن طريقها، مثل التجربة والعقل والفطرة، لما لذلك من وقع وأثر في ضبط الفكر وحمايته، وتحقيق للتوازن الفكري في المجتمع.

وفي إطار المسار التحصيني للفكر، تحتشد مجموعة من المقالات؛ لتبدأ بالبحث عن الجذور التاريخية للتطرف الفكري ومظاهره، كي يحذر المجتمع من تشابه الظروف، وسرعة البدء في العلاج، متى بدت بوادر هذا التطرف في صورة فردية أو جماعية.

وإدراكاً لقيمة الانطلاق في الحياة على هدى وبصيرة وأثر ذلك في مجابهة الغلو والتطرف، يلمح أحد المقالات إلى ضرورة اتخاذ طريق الرشد منطلقاً

أوليًا في الحياة، إذ به تتحدد كثير من الأعمال السديدة، وفي المقابل فإن التخبط يُنتج أعمالاً فاسدة، لا تعي رسالتها وحقيقة ما تقوم به من ممارسات، وما بين رصد مظاهر التطرف ووضع العلاج.. تأتي تلك التجربة الفريدة لمدارس "الخدمة" من خلال خطوات علاجية استباقية، يحفظ بها المجتمع أبناءه من خطر الانحراف والزيغ.

وفي سبيل تبُّع الجذور البعيدة للعنف، والمؤثرات المتشابكة الحافزة لهذا النوع المضاد للفطرة السوية، يأتي الحديث عن الخلط والتداخل المفاهيمي لبعض المصطلحات، والتنميط الفكري للمفاهيم الجاهزة، وربطها في سياقات مغايرة للحقيقة بالمصطلحات الإسلامية، مثل الجهاد، والدعوة. كما تناولت المقالات الدور المحوري للإعلام في نشر المفاهيم، وعلاج مظاهر الانحراف الفكري، وذلك لما للإعلام من آليات ووسائل مؤثرة في المجتمعات المعاصرة، وما يستتبع ذلك من آثار في نشر الأمن المجتمعي.

وسعيًا لتحقيق عوامل القوة، خاصة في ظل الواقع الذي لا يعترف بالمهمشين أو الضعفاء، يرصد أحد المقالات دور العبادات وأركان الإسلام في تغذية وتنمية القوة لدى أفراد المجتمع، ليقدموا من أنفسهم نموذجًا قويًا جاذبًا لمن حولهم من الأمم، للتعاون معهم على البر والعدل.

إن شيوع المفاهيم الخاطئة ليس حكرًا على أمة بعينها، بل قد يظهر عند أكثر الأمم رقيًا وتمدنًا، بما يستلقت الانتباه إلى رصد العوامل المؤثرة في شيوع فكرة ما، ودراسة الأسباب البعيدة لهذه الظواهر والمفاهيم. وتطبيقًا لهذا البُعد التحليلي تعرج المقالات لتناول ظاهرة "الخوف من الإسلام" في المجتمعات العربية، فتشير إلى الأسباب وتجلياتها وعلاجها في أسلوب متكامل متداخل.

وبأسلوب ذكي، يأتي المقال الذي يتحدث عن "الوصايا العشر لتفريق المسلمين"، وفي الحقيقة إنها

ليست وصايا - إذ المسلم مأمور بالتواصي بالحق والخير - ولكنها تسجيل لواقع بعض المنتسبين للإسلام في إشاعة الفرقة وزعزعة أمن المجتمعات، في صورة تنبه على خطورة هذه الأفعال وضرورة اجتنابها.. ثم يأتي المقال الأخير في صورة بديعة، وكأنه ينبئ عن الهدف مما سبقه من مقالات، فلو سألت أيها القارئ، عن الهدف الذي احتشدت هذه المقالات من أجله، لجاءك الجواب "لكيلا يكون شبابنا فريسة للتنظيمات الإرهابية".

وبهذا أيها القارئ، تلمح الخيط الجامع الذي يشد هذه الكتابات، لينسج منها قضية محورية تتصل بأمن المجتمع وبناء الأفكار وحمايتها، إنها بحق فكرة رائدة متميزة، تثبت الحاجة إلى التنقيب في العطاء الفكري للعلماء والبحث عن كنوزه، وإعادة إصدارها مرات ومرات، تشبثًا لدعائم الخير، وحفاظًا على العقول والأفكار، لضمان صفاء الفكر ونقاؤه.

فإلى هذه الجرعات الفكرية التحصينية، في واقع تتناوشه آفات فكرية متجددة، عسى أن ينتفع بها المسلمون، وكل عاشق للحقيقة، متطلع للتعاون على البر والتقوى.

وبهذا يبرز الدور الريادي والتثقيفي والتوعوي الذي تضطلع به مجلة حراء، حيث قوة موضوعاتها ووضوح طرحها وواقعية معالجتها وتقديمها الحلول الناجعة لمشكلات الواقع.

إننا حقًا بحاجة ماسة إلى الصراحة والوضوح في تناول قضايا الأمة، الذي يستتبع التشخيص السليم لما نعانيه من مشكلات فكرية تموج في جنبات عالمنا الإسلامي، والذي ينتج عنه قطعًا علاج شاف وحل كاف لهذه المشكلات. ■

(\*) عميد كلية الدعوة الإسلامية جامعة الأزهر / مصر.

الهامش

(١) مقدمة كتاب "نحو عالم بلا خوف"، إعداد: نور الدين صواش، دار الانبعاث للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة ٢٠١٩.





## ابن رشد فيلسوف قرطبة الطبيب

لابن رشد في تاريخ الفكر الإنساني عامة والفكر العربي الإسلامي خاصة، مكانة ما نحسب أنها كانت لغيره من مفكري الإسلام. وهذا الحكم في حق فيلسوف قرطبة اتفقت بشأنه أكثر الأقوال اختلافًا وأشد الآراء تضاربًا. فهو الذي تقدم لحمل الراية ورفع لواء الحكمة في ديار الغرب الإسلامي، فتعددت اهتماماته الفكرية واتسمت بالطرافة من حيث غنى مضامينها وتنوع مصادرها واختلاف مكوناتها، وتعددت تأليفه التي تراوحت بين المختصرات والجوامع والتلاخيص والشروح والتعليق والمقالات والمؤلفات الموضوعية. فتوزعت معارفه من المنطق



## لابن رشد في تاريخ الفكر الإنساني عامة والفكر العربي الإسلامي خاصة، مكانة ما نحسب أنها كانت لغيره من مفكري الإسلام.

حذاء

لفلسفة أرسطو، وبلغت دقته غايتها في العصر الوسيط، حيث كان الشرح عنده يعني التحقيق والتمحيص بالرجوع إلى الأشياء ذاتها، واعتبارها مقياساً لصدق القول المشروح، أو بالرجوع إلى الأساليب البرهانية وأنواعها. لا يعني الشرح -إذن- التبعية المطلقة، بل يعني مراجعة النص الأرسطي ومعرفة مذهبه. فقد كان ابن رشد يفكر مع أرسطو ويعيد التفكير معه مبيناً أشكال القياس التي اتبعها وأنواع البراهين التي استدل بها، محاولاً إيجاد البراهين الصحيحة.. فكانت مهمته فهم النص وتمثله، ثم اكتشاف بنائه العقلي وتأسيس المعرفة. فاكتملت بذلك أدواته الضرورية لممارسة قراءة خاصة تروم تقديم إسهام جديد في حقل الفلسفة العربية الإسلامية، وأعطى هذه الفلسفة زخماً من التلاخيص والشروح والتعليقات والمقالات والمؤلفات الموضوعية.

فتناول بالدرس والنقد مذاهب المتكلمين، وأفرد أعمالاً للرد على الفلاسفة الذين تقدموه كالفارابي الملقب بـ"فيلسوف العرب" و"المعلم الثاني" بعد أرسطو، وابن سينا الملقب بـ"الشيخ الرئيس"، وبخاصة تلك المعركة الفكرية التي وجهها للإمام الغزالي في مؤلفه "تهافت التهافت"، والتي لم يعرف عصره مثيلاً لها في الخصومة والنضج. هذا التراكم المعرفي الذي استوعبه ابن رشد، ازداد دعامة بمعارفه كـفيلسوف وفقه وطبيب جعلت منه أكبر حكماء القرون الوسطى. وبدون ريب فهو مؤسس الفكر الحر، كما يبدو الاتجاه النقدي جلياً في كتاباته، فهو يتناول الآراء مبيناً أصولها وغاياتها بشكل تحليلي منطقي، مشيداً بنظامه الفلسفي انطلاقاً من نظرة نقدية للتيارات الفلسفية التي سبقته كاشفاً الغطاء عن المغالطات التي وقعت فيها الفلسفة المشائية العربية.

وباستثناء شروحه لأرسطو، نجد مؤلفاته عبارة

وصناعة الطب إلى العلم الطبيعي والفلسفة الأولى، ومن الأخلاق والسياسة إلى الفقه والأصول والكلام.

فالسمة الرئيسة التي اتصف بها مذهبه هي السمة العقلانية القائمة على البرهان والنظر والحكمة، كما استند توجهه العلمي إلى التجربة الطبيعية والعضوية. وهذا ما به نفس اعتماد منهجه على العقل والربط والتعليل والتجربة.. فحامت أعماله حول الشرح والتعليق على كتب المعلم الأول "أرسطو"، لذلك كُني ابن رشد بـ"الشارح الأكبر" و"روح أرسطو وعقله"، وذلك لما كان لشروحه من شأن في ترويح فلسفة أرسطو في الأوساط الفلسفية اللاتينية، في عهد كان الغرب اللاتيني جاهلاً تماماً بآثار أرسطوطاليس، هذا فضلاً عن تقديمه الأرسطية بثوبها الخالص، خالية من الأخطاء والشوائب التي تعرضت لها. كما تصدى ابن رشد لمشكلات الفلسفة العربية الإسلامية -وهي المشائية والكلامية- بالتعليق والنقد الفلسفي، والتي لم يعرف عصره مثيلاً لها في النضج والإثراء.

وهو من عرف أيضاً بصاحب التقريب بين الحكمة والشريعة، أو منزلة العقل من الإيمان، متصدياً لأخطر قضية خاضها الفكر الإنساني، وهي محاولة التقريب ما بين نوايس الحكمة وأصول العقائد التي أتت بها الأديان؛ فلا تعارض عنده بين هدف الحكمة وهدف الشرع.

### نشأته العلمية

ولد ابن رشد في مدينة قرطبة (٥٢٠هـ/١١٢٦م) على أرض الأندلس، في عهد نشطت فيه الحياة الثقافية ونما التفكير الفلسفي تحت أنظار ورعاية الموحدين، وسمي باسم جده، وكني بنفس كنيته، واشتهر في كتب الطبقات بأبي الوليد قاضي الجماعة وبأبي الوليد الفيلسوف، ولقب وعرف بابن رشد الحفيد المعروف عند اللاتين باسم "أفرواس" (Averroes). نشأ في بيت علم وفقه وجاه، فجدّه كان قاضياً بالأندلس كلها، وأمير الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة، كما أنه برز في أهم علوم العصر، كعلم التفسير والحديث والدراية والفقه، مما يمكنه أن يصبح عالماً يتحلّق ويتجمع حوله طلاب العلم ويأخذون عنه.

### فلسفته ومنهجه

إن ابن رشد قد استحق بجدارته لقب "الشارح الأكبر"

عن مقالات في المنهج، فكتابه "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال" عبارة عن مقال منهجي أثار فيه الخطوط العامة التي يجب أن تقوم بين الشريعة والحكمة. أما كتابه "الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة" فإنه نقد منهجي لآراء المتكلمين على عقائد الشريعة. وأما "تهافت التهافت" فهو مقال مفصل في المنهج، فيه يعرض ابن رشد الأدلة التي عارض فيها الغزالي الفلاسفة، والأدلة التي سردها عن ابن سينا، والتي لا ترقى إلى مرتبة اليقين.

فالنزعة العقلية عند ابن رشد هي نظام وترتيب ومنهجية في التفكير، إنها تتمثل في نشاط العقل الذي يعيد بناء الواقع انطلاقاً من الواقع ذاته حتى يتسنى للإنسان إدراكه عقلياً عن طريق المعقولات التي يصنعها العقل اعتماداً على المعطيات الحسية الواردة عليه من الخارج. والعقل عند ابن رشد منفتح على كل العوالم، سواء كانت معقولات العلوم الطبيعية أو معقولات عالم ما بعد الطبيعة، كما أنه فهم قدرة العقل الشاملة بالإحالة إلى العالم؛ فلا بد للعالم من العقل ولا مناص للعقل من العالم، فهما أمران متضايقان لا يوجد أحدهما إلا بوجود الآخر في استقلال متبادل وتبعية مشتركة. ومن جانب آخر، أسهم المفهوم الرشدي للعقل بقسط كبير في تأسيس الرشدية اللاتينية كحركة فلسفية غربية. وليس من غرابة القول "أن الفكر الديني اللاتيني ظل يستفيد منه طيلة قرون حتى مثل بالنسبة إليهم منطلقاً ومنعطفاً في بلورة مفهوم جديد للعقل ينزع نحو المعنى الكلي، والقاسم المشترك، ولا يفاضل بين الشعوب. ومن هنا تميزت فلسفته بالنزعة الإنسانية والعقلانية التي اعتمد عليها، للكشف عن قيمة الإنسان من الوجهة الاجتماعية والأخلاقية والنفسية".

ولا شك أن من يتعمق في دراسة فلسفة ابن رشد، يجدها تشتمل على مفاهيم علمية وفلسفية لا غنى عنها في كل العصور، مثل اهتمامه الشديد بمفهوم السببية ومحاولته إرساءه على أسس علمية وفلسفية، ومعالجته لمشكلة الحرية الإنسانية معالجة طبيعية أقرب إلى الفهم العلمي الحديث، واحتفائه ببناء أدلة عقلية موضوعية على وجود الله تعالى، ومحاولته الناجحة للتوفيق بين

الدين والفلسفة أو العقل والنقل أو الحكمة والشريعة، وتحقيقه لمفهوم الموضوعية العلمية الذي تجلى من خلال شروحه على مؤلفات أرسطو، التي أزال عنها كل التشويهاً التي لحقت بها، وتقديمه لها في صورة علمية صحيحة، جعلته جديراً بلقب "الشارح الأكبر".

### ابن رشد الطبيب

لقد اشتهر ابن رشد بانشغاله بالطب، فكانت تأليفه متعددة في هذا المجال، فصناعة الطب عنده "تتسلم كثيراً من مبادئها عن صنائع أخرى بعضها نظرية وهي العلم الطبيعي والقياس، وبعضها عملية، ومنها صناعة الطب التجريبية وصناعة التشريح". فابن رشد يؤكد على علاقة الطب بالفلسفة وتلازمهما وتراپطهما. فصناعة الطب لا تنال دون أن يكون صاحبها عارفاً بصناعة المنطق: "فالطبيب الفاضل هو فيلسوف بالضرورة".

فالطب عنده صناعة فاعلة وهذه الصناعة -أي الطب- لا يقصد منها شفاء الأمراض بطريق مباشر، لكون الجسم الإنساني في نظر ابن رشد منظومة نسقية، إذا اختل فيها التوازن في حالة المرض جاء الطب، لا ليعيد هذا التوازن بنفسه، بل ليساعد الجسم على أن يستعيد بنفسه توازنه الذاتي. فصناعة الطب عنده إذن "ليست غايتها أن تبرئ، بل أن تفعل ما يجب بالمقدار الذي يجب وفي الوقت الذي يجب، ثم ينتظر حصول غايتها، كالحال في صناعة الملاحة وقود الجيوش".

ويمكننا أن ندرك علاقة الطب بالفلسفة بالعلاقة الخاصة التي كانت تربطه بالطبيب المشهور في عصره أبو مروان بن زهر صاحب كتاب "التيسير في المداواة والتدبير"، حتى أن الكثيرين قد أشاروا إلى أن كتاب "التيسير" هو تكملة أو تذييل لكتاب ابن رشد الطبي المسمى بـ"الكليات".

ولإدراك أهمية الطب عند ابن رشد، نجد في نكبته آخر حياته والتي انتهت بحبسه، قد أمر بحرق جميع كتبه ما عدا كتبه في الحساب والفلك والطب، لأنها كانت من الكتب المعول عليها في هذه المجالات، كما أنها لم تكن محل نقد ومهاجمة من خصوم ابن رشد من المتكلمين والفقهاء، بل كانت كتباً لاقت إعجاب العلماء في هذه المجالات.



## أهم كتب ابن رشد الطبية

١- الكليات في الطب: وهو أهم مؤلفات ابن رشد الطبية ألفه حوالي عام (٥٥٧هـ/١١٦٦م)، وقد ترجم إلى العبرية ومنها إلى اللاتينية تحت عنوان (Colliget)، وقد اقتصر فيه على المبادئ العامة في الطب، دون أن يتطرق إلى التفاصيل والجزئيات، تاركاً لصديقه أبي مروان الأمور الجزئية لتكون جملة كتابيهما كتاباً شاملاً في صناعة الطب. وقد حرص ابن رشد على أن يكون الكتاب توطئة لصناعة الطب، وهو ما يظهر من مقدمته للكتاب، وهو ما يذكرنا بمقدمة "المختصر في المنطق" الذي اعتبره أيضاً مدخلاً لصناعة المنطق، ولكن صاحب "الكليات" لم يكن يروم فحسب إنقاذ ما هو ضروري من صناعة الطب كما فعل في المنطق وغيره؛ بل كان يطمح فضلاً عن ذلك إلى تصحيح القول الطبي، وفق الأصول الطبيعية ومحددات القول العلمي، كما تضعها صناعة المنطق مستلهماً في ذلك أعمال جالينوس الطبية، ومضيفاً إلى ذلك بعض التحفظات والانتقادات لآراء جالينوس.

فكان الهدف الأول من الكتاب هو نقل النظر الطبي من الإغراق في الجزئيات إلى الإمساك بالكليات التي تثير تلك الجزئيات، وتعمل على تنظيمها وضبطها، فإن المهمة الضرورية العاجلة التي تنتظر الطبيب الفيلسوف هي رفع هذه الصناعة إلى مستوى الكليات.

٢- شرح ابن رشد على الأرجوزة المنسوبة لابن سينا في الطب: فقد اعتبرها أفضل من كثير من المداخل التي وضعت في الطب، مع ما اختصت به من النظم الميسر للحفظ، والمنشط للنفس، وقد ألقت شروح متعددة لهذه الأرجوزة في اللغة العربية، وترجم شرح الأرجوزة (Canti Cum) إلى اللغة اللاتينية عام (١٢٨٤م) من قبل ارمنقود (Armengaud de Blaise)، وطبعت بمدينة البندقية عام (١٨٨٤م) ونشرت بعد ذلك عدة مرات.

وقد اتبع ابن رشد في شرحه طريقة الأرجوزة في عرض الأصول النظرية والعملية التي ذهب إليها ابن سينا في علم الطب من المبادئ والمشاهدات والنصائح الغذائية والعلاجية، وختمها بالجزء العملي الخاص بالجراحة وآلياتها، وهي في الأصل خلاصة مكثفة لكتاب "القانون في الطب".

ويتبين من شرحه للأرجوزة أنه يفرق بين مذهب الفلاسفة في صناعة الطب ومذهب الأطباء، فهو قد فصل القول في بيان مذاهب الفلاسفة والأطباء في تكوين الجسم أو في مادة تركيبه. فذكر مذهب أبقراط وجالينوس، وذكر اختلاف الفلاسفة والأطباء في العناصر التي تتكون منها الأجسام المادية، هل هي أربعة أم اثنان أم واحد، وهل هي ذرات غير منقسمة وذات طبيعة واحدة، وهل هي أساس العناصر الأربعة ذاتها وسائر الموجودات.

٣- كتاب الترياق في الطب: هذا الكتاب يتحدث فيه ابن رشد عن وظيفة الأدوية، ويفرق بينها وبين الترياق، ويعرض لفعل كل منهما في الجسم، وشروط تركيب الدواء وملاءمته لأجسام دون أجسام، ويعتبر الترياق من أقوى المستحضرات الصيدلانية التي ظهرت في الأزمنة السابقة فعالية. لذلك كان على ابن رشد أن يعطي لهذا الصنف من "إكسير الحياة" اهتمامه الخاص كطبيب مباشر، فقد أطلع على كتب الأوائل ودون لنا ما كتبه عن الترياق، وفي كيفية استعماله الصحيح في حفظ الصحة من دون حدوث الأمراض الكبار.

وفي مجال استخدامه في العلاج لبعض الأمراض، حدد ابن رشد الأمراض التي يمكن أن يعالجها الترياق، ووضع شروطاً لأسباب استخدامه، بينما نجده قد حذر من استخدامه في علاج البعض الآخر، ذاكراً الأسباب التي دعت إليه هذا التنبيه والتحذير. ويشدد أيضاً على ضرورة الحرص عند وصف الترياق وجرعته ألا يعتمد على القياس، بل يجب أن تكون التجربة أساساً لوصفه وتحديد جرعاته. ■

(٢) كاتب وباحث وأكاديمي / مصر.

### المراجع

(١) الرسائل الطبية، ابن رشد، تحقيق: جورج شحاتة قنواتي ود. سعيد زايد.

(٢) الكليات في الطب، ابن رشد، تحقيق وتعليق د. سعيد شيبان، ود. عمار الطالبي.

(٣) الترياق، ابن رشد، دراسة د. عبد الحميد محمد البسيوني، ود. أحمد رجائي الجندي، ضمن ندوة الكويت عام ١٩٩٥م.

(٤) شرح أرجوزة ابن سينا، ابن رشد، مخطوطة المكتبة الوطنية بالجزائر.

(٥) ابن رشد فيلسوفاً معاصراً، الدكتور بركات محمد مراد.

## المتقون والمعاصي

علاقة المتقين بالمعاصي علاقة معقدة، ليس من السهل إدراكها إلا إذا اغترفنا من معين القرآن الكريم غرفة تروي ظمأ جهلنا، يقول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٥)؛ فتبدأ الآية الكريمة بـ"الَّذِينَ" وهو اسم موصول، والمقصود بهم في الآية هم "المتقون"؛ لأن الآية قبل هذه الآية هي قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣)، ثم ذكر صفات المتقين فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ

ع

**ميزة المتقين من أهل الإيمان عن غيرهم ممن  
يقترفون الآثام صغیرها وكبیرها، هو أن المتقين  
يسارعون إلى طلب المغفرة والاستغفار  
الحقيقي بالقلب واللسان.**

حراه

٢- إن مجرد ارتكاب الكبيرة لا ينافي صفة التقوى إلا مع الإصرار ومع عدم الاستغفار. ولذلك يكون الكلام الآتي للإمام أبي القاسم القشيري على جماله، وعلى صحته من وجه؛ لكنه ليس هو معنى الآية! وذلك عندما قال -رحمه الله- في تفسيره: "ويقال فاحشة كل أحد على حسب حاله ومقامه، وكذلك ظلمهم. وإن خطور المخالفات ببال الأکابر كفعلها من الأغيار.

قال قائلهم شعراً:

أنت عيني وليس من حقّ عيني

غضُّ أجفانها على الأقداء

فليس الجرم على البساط كالذنب على الباب.

ويقال فعلوا فاحشةً: بركونهم إلى أفعالهم، أو ظلموا أنفسهم: بملاحظة أحوالهم؛ فاستغفروا لذنوبهم بالتبّير عن حركاتهم وسكناتهم، علماً منهم بأنه لا وسيلة إليه إلا به، فخلّصهم من ظلمات نفوسهم. وإن رؤية الأحوال والأفعال لظلمات عند ظهور الحقائق، ومن طهره الله بنور العناية، صانه عن التورط في المغاليط البشرية".

فهذا كلام جميل جداً؛ لكن لا ينبغي أن يخالف ظاهر الآية الواضح، من أن المتقين قد يقعون في الكبيرة من كبائر الذنوب.

٣- تذكر الآية ظلم النفس بعد ذكر الفاحشة في سياق ما يُوجب الاستغفار، مع أن ظلم النفس اسم شامل لكل معصية صغرت أو كبرت، اقتصر ضررها على العاصي أو تعدّاه إلى غيره.. مما يعني أن ذكر ظلم النفس بعد ذكر الفواحش والكبائر، هو من باب ذكر العام بعد الخاص، فالكبائر نوع من أنواع ظلم النفس، مما يدلنا على المغزى من ذكر الفواحش، ومما يعيننا

وَالضَّرَاءِ وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾؛ فالآية إذن، تذكر صفات أشرف درجات المؤمنين المسارعين إلى مغفرة الله تعالى ورضوانه، والموعودين بجنة عرضها السموات والأرض وهم المتقون.

ولكن الغريب أن الآية لا تنزه هؤلاء المتقين من المعاصي كما قد يتوقع بعضنا، بل إنها لا تزهم حتى من الكبائر (الفواحش)، كما قد يتوقعه كثيرون منا، بل الآية لم تكتف بعدم تنزيه المتقين من المعاصي، بل إنها تُثني عليهم بارتكابها! نعم.. تُثني عليهم بارتكاب المعاصي، لكن في حالة واحدة فقط هي يُبعونها بالاستغفار الصادق، الذي يستلزم فيما يستلزم عدم العزم على الإصرار. ولا تُثني عليهم بارتكاب المعاصي مطلقاً فهذا لا يمكن أصلاً، ولا تُثني عليهم بعدم ارتكابها مطلقاً أيضاً وهذا هو ما أُجبت لفت الانتباه إليه.

ومن هذه المقدمة ندخل في استلزام بعض فوائد هذه الآية، فمن فوائدها:

١- تُبين هذه الآية أن المتقين -وهم أصحاب هذا الوصف الشريف- لا ينحصر في المعصومين فقط، فالمعصومون هم أنبياء الله وخدامهم عليهم الصلاة والسلام. ولا ينحصر أيضاً في الذين يجتنبون الكبائر، ممن لا تتجاوز معصيتهم الصغائر من الذنوب، فليسوا محصورين في الذين لا يرتكبون الكبائر ولا يأتون الفواحش فقط. فهذه الآية توضح أن المتقين قد يقترفون حتى الفاحشة، وقد يقعون حتى في الكبيرة؛ لكن الذي يميز هؤلاء المتقين من أهل الإيمان عن غيرهم ممن يقترفون الآثام صغیرها وكبیرها، هو أن المتقين يسارعون إلى طلب المغفرة، أي إلى الاستغفار الحقيقي بالقلب واللسان.

وذلك أن وصف الفاحشة لا يكون وصفاً لصغائر الذنوب، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ (النجم: ٣٢)، فجعل الله تعالى "اللمم" وهي الصغائر، شيئاً مخالفاً للكبائر والفواحش، مما يبين أن الفواحش جنس من الكبائر أو لقب آخر لها.



على اكتشاف السر في ذكر الكبائر، بل في تخصيصها بالذكر، مع إمكان الاستغناء عنها بلفظ "ظلم النفس" الذي يشملها. ومن أوضح ما يبين ذلك المغزى ويكشف سر ذلك التخصيص بالذكر، هو لتصحيح التصور عن علاقة التقوى بارتكاب الكبائر، ولبيان أن الضعف البشري قد يحط المتقي في لحظة جذب الطيني ودفع غريزته الجسدية من علياء الإيمان والتقوى إلى حضيض التمرغ في وحل الفواحش، وأن ذلك لا يخرج عن وصف المتقين ما دام يتبع ذلك بالرجوع إلى ربه والفرار إليه بالاستغفار.

ومن فوائد ذكر ظلم النفس في هذا السياق أيضاً، بيان أن الصغائر تُوجب على المتقين الاستغفار منها أيضاً، وأن المتقين لا يستخفون بضرورة الاستغفار حتى من الصغائر، بل العبد محتاج للاستغفار - حاجة استحباب لا وجوب - في كل وقت، حتى بعد الطاعة؛ لما ينتاب الطاعة من تقصير عن حق جلال الله تعالى وعظمته ولا بد، وإعلاناً للعجز عن موافاة الله تعالى حقه من الشكر على التوفيق والإعانة على أداء الطاعة.. كما أمر الله تعالى بالاستغفار عقب أداء مناسك الحج، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٩٩)، وكما قال تعالى في الأمر بالاستغفار عقب قيام الليل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَافَتَهُ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصِيَهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المزمل: ٢٠). وكان من سنة النبي ﷺ أن يختم صلاته للفريضة بالاستغفار ثلاثاً.

فإذن، كان الاستغفار مستحباً حتى بعد الطاعة، وهي طاعة ترضي الرب ﷻ وتقرب إليه العبد؛ فكيف سينزل حكمه عن الوجوب بعد مخالفة أمر الله تعالى بالمعصية

ولو كانت معصية صغيرة!

٤- بعد أن ذكر الله تعالى إمكانية موقعة المتقين للفاحشة وظلم النفس، ذكر ما يجعل المتقين أوابين لله تعالى بطهر الإيمان وريقة طلب المغفرة (الاستغفار). فكان هذا الأمر الذي يرفعهم من حضيض المعصية إلى سُموم القرب من العلي سبحانه هو أنهم ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ نعم، إنهم فقط ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾، فلم يقل الله تعالى: تَذَكَّرُوا عذاب الله الأليم وأخذَه السريع، ولا قال الله تعالى: تَذَكَّرُوا جلاله من عَصَوْه، وعظمة سلطان من خالفوه.. ولا غير ذلك من دواعي الردع القوية الحقيقية ومن أسباب الزجر العظيمة، بل اكتفت الآية أن يكون "ذِكْرُ اللَّهِ" هو أعظم رادع وأشد زاجر. وكفى بذكر الله رادعاً عن معصيته.. وكفى بذكر الله زاجرًا عن التقصير في حقه ﷻ.

الأمر حقاً لا يحتاج أكثر من أن تَذَكَّرَ الله تعالى، تَذَكَّرَه فقط؛ لكي تجتنب مخالفة أمره.. لا تحتاج إلا أن لا تَعْفَلَ عن ذِكْرِهِ فقط؛ لكي يدوم أُنْسُكَ ببلدة القرب بطاعته.. فمجرد تَذَكَّرَ الله تعالى، يكفي لاستحضار كل معاني التعظيم حُباً ورجاءً وخشية.. ولهذا كان كافياً للعاصي أن يذكر الله، لكي يؤوب إلى رشده ويفر إلى ربه. فليست الخشية وحدها هي الرادعة - كما ظن بعضهم - فرب حياء من مُنِعَ كريم كان أشد في الردع عن مخالفة أمره من خوف عذابه.. وُرب حب حجب النفس عن كل ما لا يحبه المحبوب، أكثر من الحذر من عقوبة غضبه.. فذِكْرُ اللَّهِ على كل أنحاء أعظم مانع عن معصيته، وذِكْرُ اللَّهِ لا يجتمع قط مع غفلة الجهالة عن واجب تعظيمه ﷻ.

ولذلك كان الاستغفار العاجل السريع، هو النتيجة المتحتمة لمن ذكر الله تعالى عقب معصيته: ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠١). ■

(٤) كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى / المملكة العربية السعودية.



## العلاج بسم النحل

سم النحل سائل شفاف يجف بسرعة حتى في درجة حرارة الغرفة، ورائحته عطرية لاذعة، وطعمه مرّ، وبه أحماض عديدة، منها الفورميك، والأيدروكلوريك، والأرثوفوسفوريك، وغيرها.. بالإضافة إلى كمية كبيرة من البروتينات والزيوت الطيارة. وسم النحل موجود في كيس داخلها، ويزيد السم في هذا الكيس إذا زادت نسبة المواد البروتينية عن المواد الكربوهيدراتية في غذاء النحل.

س

### كيف يتكون سم النحل؟

يتم تكوين وإفراز سم النحل في نحلة العسل، من زوج من غدد السم المتحورة عن الغدد الزائدة، ويتم تخزينه في كيس السم (Poisonsac) الذي يفرغ محتوياته عند اللزوم، في قاعدة آلة اللسع.



إن سم النحل يحتوي على ما لا يقل عن ١٨ مادة نشطة، وأن المادة الرئيسية به هي الميليتين لها تأثير فعال في علاج الالتهابات.

على آثار جانبية. يقول الدكتور عبد الرؤوف الديب، الأستاذ بكلية الطب بجامعة قناة السويس، لروترز: "العلاج بلسع النحل أو عسل النحل ليس له أي أضرار، ومعظم التجارب العلمية على استخدامها كانت ناجحة، إلا أنه لا يمكن تعميمها لأنها لم تخضع إلى منهج بحثي علمي".

وفي حالة نادرة لسيدة قادمة من الواحات، استطاعت في مقبل عمرها أن تحقق حلم حياتها في الحمل باستخدام سم النحل، ووضعت مولودة بمستشفى هليوبوليس بمصر الجديدة. قد يكون الخبر عادياً، ولكن الغريب أن السيدة تعرضت للإجهاد ١٢ مرة، ولم تفلح في تحقيق الحمل إلا بعد استخدام حقن سم النحل، بالرغم من أن كل الفحوص أكدت سلامتها وعدم وجود أي موانع.

يعاني بعض الناس من حساسية من سم النحل، وتحصل لهم العديد من ردود الفعل التي يمكن أن تحدث من لدغة النحل، أو من المنتج المستخلص من سم النحل، لكن في العادة تكون ردة فعل موضعية مع احمرار وورم يحيطان بموضع اللدغة. والبعض يعاني من ردة فعل أقوى، ويحصل ذلك عندما يزداد الورم ويتشرب في كامل الطرف ويسبب مشاكل بالحركة. وتتضح ردود الفعل الحادة عندما يعاني الشخص من احمرار وتهيج، وصعوبة في التنفس الذي يمكن أن يترتب عليه فقدان الوعي، مما يستدعي إلى مساعدة طبية مستعجلة.

### لدغة النحل لعلاج التهاب المفاصل

أفادت صحيفة جرانما الحكومية الكويتية بأن الأطباء الكويتيين يستخدمون طريقة لدغة النحل، في علاج التهاب المفاصل وتصلب الأنسجة وغيرها من الأمراض. وذكرت أن هذا الأسلوب العلاجي الذي استخدم للمرة الأولى في العصور الوسطى، يمكنه أن يلين من خشونة الندبات التي تتألف من أنسجة غليظة، والتي تنشأ أحياناً في أعقاب العمليات الجراحية. وأضاف التقرير أن سم النحل يحتوي على ما لا يقل عن ١٨ مادة نشطة، وأن المادة الرئيسية به -وهي الميليتين- لها تأثير فعال في علاج الالتهابات. وجاء في التقرير أن

وفي النحل حديثة الخروج من العيون السداسية، كمية صغيرة جداً من سم النحل، ومع تقدم العمر عند شغالة النحل، تتراكم فيها كميات من السم بشكل تدريجي، وتصل إلى ٠,٣ ملليجرام في شغالة نحل العسل البالغة من العمر ١٥ يوماً.

وعندما يصل عمر النحل الحارس إلى ١٨ يوماً، يتوقف إنتاج كميات إضافية من سم النحل. وبالتالي يبقى وزن سم النحل داخل كيس السم ثابتاً لا يتغير، وإذا تم إفراغ محتويات كيس السم هذا، لا يمكن أن يمتلئ ثانية. أما عند ملكات النحل، فإنها بمجرد خروجها من بيتها، يتكون السم بشكل كامل، وذلك لاحتياج هذه الملكة إليه في قتل منافساتها.

### فكرة العلاج بسم النحل

تقوم فكرة العلاج بسم النحل أو لسعه، على زيادة كفاءة الجهاز المناعي وتقويته، ليصبح قادراً على مقاومة الفيروسات والحد من انتشار المرض؛ حيث تعمل ميكانيكية لسع النحل على تنشيط الغدة فوق الكلوية التي تفرز الكورتيزون الطبيعي، كما يحتوي سم النحل على مادة الأدرين التي تستخدم في تخفيف الآلام السرطانية في بدايتها. والأدرين مسكن تصل قوته إلى عشرة أضعاف تأثير المورفين.

ويؤكد أطباء وباحثون أن العلاج بلسع النحل وسم النحل أو أي منتج من منتجات عسل النحل، لا يحتوي



المنجلبي واللوكميا وسرطان الغدد والسمنة والنحافة. يعود استخدام لسعات النحل وسمومها إلى العهدين اليوناني والروماني، عندما كان الناس يكيلون المديح للفوائد العلاجية والصحية لسم النحل وعسله. ولم تتوقف المشاعر الإيجابية تجاه هذا المنتج الطبيعي حتى الآن، بل ازدادت وتنوعت طرق استخدامه لعلاج أمراض التهاب المفاصل والأمراض التنكسية (Relapsing Diseases)، بما في ذلك مرض تصلب الجهاز العصبي المتعدد.

يحتوي سم النحل على ١٨ مادة فاعلة، أهمها مادة "ميليتين" المضادة للالتهاب والتي تبلغ قوتها ١٠٠ ضعف قوة دواء "هايدروكورتيزول" الذي يستخدم في علاج حالات الالتهاب التي يتعرض لها الجسم. كما يحتوي السم على مادة "أدولابين" المضادة للالتهاب والمسكنة للأوجاع، وكذلك مادة "أبامين" التي تساعد على تواصل الإشارات العصبية، ومواد أخرى معظمها من البروتينات التي تقاوم الالتهاب وتلطف الأنسجة.

ويحتوي سم النحل أيضاً على كميات محدودة من المواد الكيميائية التي تلعب دوراً في نقل الإشارات العصبية، من أهمها "دوبامين" و"سيراتونين" و"أبينفرين". وقد أكدت دراسات عدة وتقارير منشورة، أهمية سم النحل في علاج التهاب المفاصل الروماتيزمي، والالتهاب العظمي المفصلي، وفي تسكين الآلام الناتجة عنها، وكذلك أمراض الأنسجة الضامة مثل مرض تصلب الجلد، وأمراض أخرى لا علاقة لها

لدغة النحل تحفز الجسم على إفراز هرمون الكورتيزون بشكل طبيعي، مما يحول دون ظهور الآثار الجانبية التي ينطوي عليها تعاطي الكورتيزون بشكل دوائي، وأن العلاج بلدغة النحل يتم بالإمسك بالنحلة برفق بواسطة ملقط، وإبقائها حية لما يتراوح بين ١٥-٢٠ دقيقة؛ لكي تتمكن من لدغ المريض وضخ السم داخل مجرى دمه. ولا يسمح للمرضى الذين تثبت حساسيتهم ضد سم النحل بالاستفادة من هذا الأسلوب العلاجي، وقاية لهم من التعرض لرد فعل حاد.

وعادة ما يكون لهذا الأسلوب العلاجي آثار جانبية محدودة، إلا أن مخاطر الحساسية قائمة، مما جعل الأطباء ينصحون بتوفير مجموعة مضادات لحساسية لدغ النحل في مكان العلاج. وقالت الصحيفة إن الأطباء الكوبيين يستخدمون في علاج مرضاهم العسل وعسل ملكات النحل وحبوب اللقاح.

#### استخدامات سم النحل

ويستخدم سم النحل في علاج خاص للحمي الروماتيزمية الحقيقية، أما في حالة الأشخاص الذين يعانون من التهاب المفاصل الناتج عن أمراض الزهري والسل؛ فإن سم النحل يؤدي إلى رد فعل خطير لديهم، وكذلك يشفي من حالات التهاب الأعصاب وعرق النساء، وكذلك يفيد في بعض الأمراض الجلدية مثل الطفح الدملي، ومرض الذئبة، وكذلك علاج الملاريا. كما نجح سم النحل في علاج حالات لفقر الدم

إن العلاج بلدغة النحل يتم بالإمسك بالنحلة برفق بواسطة ملقط، وإبقائها حية لما يتراوح بين ١٥-٢٠ دقيقة، لكي تتمكن من لدغ المريض وضخ السم داخل مجرى دمه. ولا يسمح للمرضى الذين تثبت حساسيتهم ضد سم النحل بالاستفادة من هذا الأسلوب العلاجي، وقاية لهم من التعرض لرد فعل حاد.



النحل. لذا يخضع كل مشارك في هذه الدراسة إلى فحص مناعي، للتأكد من حساسيته تجاه سم النحل، فإذا أظهرت النتائج أنه معرض لردود فعل سلبية عند حقن السم تحت جلده، يرفض القائمون على هذه الدراسة مشاركته. ويبدو من النتائج الأولية للدراسية، أن عددًا لا يستهان به من المشاركين، شعروا بمزيد من الاتزان وانخفضت نسبة الوهن والرعاش عندهم.



يعاني بعض الناس من حساسية من سم النحل. وتحصل لهم العديد من ردود الفعل التي يمكن أن تحدث من لدغة النحل، لكن تحدث ردة فعل موضعية مع احمرار وورم يحيطان بموضع اللدغة.

إلا أن رئيس الجمعية الأمريكية لمرضى التصلب العصبي، حذر من خطورة حساسية الجسم عند بعض المرضى تجاه سم النحل، وأشار إلى عدم توصية الجمعية باستخدامه كعلاج لهذا المرض أو غيره من الأمراض، والاعتلالات الصحية. كما أكد أن دعم الجمعية المادي لهذه الدراسة، هو لمجرد الاطلاع على ماهية الفوائد الممكنة فيما يختص بالجهاز العصبي. فإذا كانت النتائج إيجابية، ستقوم الجمعية بدعم المزيد من الدراسات والأبحاث، وستشجع على تطبيق هذه الوسيلة العلاجية، أما إذا جاءت النتائج سلبية، فإن الجمعية تكون قد كشفت بذلك زيف الادعاءات الرائجة بالنسبة إلى سم النحل.

### سم النحل وأمراض السرطان

لقد اكتشف العلماء والباحثون مادة جديدة في سم النحل، لها تأثير فعال لتسكين الألم، وأقوى من المورفين بعشرات المرات، وسميت "أدولين"، تتمتع بخاصية خفض الحرارة، وهي تعادل خمسة أضعاف الأسبرين. ويمكن استخدام هذا المادة في حالة السرطان لعلاج الألم الذي ينشأ عنه. وفي اليابان، تم استخدام غذاء الملكة كمادة ضد نمو الأورام الخبيثة، ويعزى ذلك إلى دور غذاء الملكات في كونه يحطم الأحماض النووية في خلايا الورم، ولكن هذا التأثير يتم ببطء. ■

(\*) استشاري في طب وجراحة العيون / مصر.

#### المراجع

- (١) انظر: كتاب "موسوعة علاج السرطان بالطب البديل"، لمحمد السقا عويد، دار اليقين للطبع والنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية.
- (٢) مواقع متفرقة على الإنترنت.

بالمفاصل مثل الربو وذات القولون التقرحي، والجروح الحادة والمزمنة مثل التهاب الصرة والتهاب الأوتار وغيرها من الجروح التي تتطلب عوامل وأدوية مضادة للالتهاب. وينفع سم النحل في تلطيف ندوب الأنسجة والجدر، وفي تسطيحها وتخفيف بروزها وقتامة لونها. هذا وقد ازداد الاهتمام بسم النحل في علاج مرض تصلب الأعصاب في الولايات المتحدة الأمريكية، ليصل إلى الملايين. ونظرًا لانعدام وجود علاج شاف لهذا المرض، يحاول العديد من المرضى اللجوء إلى وسائل علاجية أخرى تساعدهم في السيطرة على أعراض المرض المتنوعة، مثل الإرهاق والوهن واضطراب البصر وفقدان الاتزان والقدرة على تناسق حركات العضلات.. هذا بالإضافة إلى صعوبة المشي والحركات، وعدم القدرة على النطق السليم، والتعرض للشلل الرعاش، مع احتمال الإصابة بالشلل الجزئي أو الكلي في الحالات السيئة للغاية.

وعلى الرغم من عدم وجود معطيات أو أدلة طبية تؤكد سلامة وفعالية سم النحل في علاج أعراض مرض تصلب الجهاز العصبي، قامت الجمعية الأمريكية لمرضى التصلب العصبي، بتمويل دراسة مهمة لجمع سم النحل في قوارير، ومن ثم حقنه تحت جلد المرضى المشاركين في الدراسة، مع الأخذ في الاعتبار احتمالات إصابة بعض المرضى بردود فعل خطيرة نتيجة حساسية أجسادهم لسم

إن أعظم وسيلة لجلب العون الإلهي والتوفيق الرباني، تأسيس التوافق وتحقيق التوحد بين أفراد المجتمع. فغنيمة التوفيق لها عُرْمُها، وِعْرْمُها هو ترسيخ الوعي الجماعي، والحفاظ على سر التوافق وروح الاتفاق، والابتعاد عن كل نزاع وشقاق.

الموازين

## مشاركات إيجابية في المصلحة الإنسانية

التعاون على إعمار الكون، والمحافظة على البيئة، وحفظ حياة الإنسان وحقوقه، وتوفير ضروريات معاشه التي تكفل له الكرامة والاحترام، ومحاربة الفساد والعبث في الأرض.. كلها أمور يشترك فيها الناس بصفقتهم الإنسانية. ويجب على المسلم أن تكون مشاركته في مثل هذه المصالح العامة التي تخدم الإنسان، مشاركة إيجابية، يكون له فيها دور السيق والريادة، ولا يكون المسلم أبداً متخاذلاً عن مثل هذا التفاعل والتعاون.





فقد قبل النبي ﷺ مساعدة عمه أبي طالب وما قام به من دور بارز في مؤازرة دعوة الإسلام في مهدها الأول، على الرغم من أن أبا طالب لم يقبل الدخول في الإسلام، ولكنه آوى رسول الله وأسبل عليه الحماية والرعاية، ودافع عنه في مواقف كثيرة ضد صناديد قريش. وكان رسول الله يُكَبِّرُ أبا طالب في كل موقف، ويحترم رأيه وكلمته طالما أنه لم يأمره بالتخلي عن دعوته وحرية.

والذي جعل موقف النبي ﷺ يختلف في معاملته بين عميه أبي لهب وأبي طالب على الرغم من بقاء كليهما على الكفر، أن أبا طالب احترم إرادة النبي وقدر له حقه في اختيار الدين والدعوة إليه، ولكن أبا لهب ناصب النبي العداء ولم يرض إلا أن يجبر رسول الله وأصحابه على العودة إلى دين الأصنام، ولم يقتنع أبو لهب يوماً بحرية الإنسان في اختيار عقيدته.

وإن رسول الله ﷺ لما انصرف عن أهل الطائف ولم يجيئوه إلى ما دعاهم إليه من تصديقه ونصرته، بعث إلى المطعم بن عدي فأجابه إلى ذلك، ثم تسلم المطعم وأهل بيته وخرجوا حتى أتوا المسجد، ثم بعث إلى رسول الله ﷺ أن ادخل، فدخل رسول الله ﷺ فطاف بالبيت وصلى عنده. ثم انصرف إلى منزله.

ثم دخلت بنو هاشم جميعها طواعية في الحصار مع بني عبد المطلب، وقام بعض المشركين بمساعدتهم بالطعام أثناء الحصار. وقد وثق النبي ﷺ في عبد الله بن أريقط، واتخذة دليلاً ومرشداً في طريق هجرته إلى المدينة المنورة، وكان ابن أريقط مشركاً ولم يثبت أنه أسلم قط. ولم يكن ابن أريقط مجرد أجير أو عامل، بل كان رجلاً مقتنعاً بشخص النبي، مجلاً له ومقدراً لقضيته ودينه؛ فقد عمل ابن أريقط على تضليل قريش عن رسول الله وصاحبه بكل سبيل، ولو كان مجرد عامل يتبعي مالاً لأرشد عن النبي وصاحبه، وفاز بالمائة ناقة التي رصدها قريش جائزة لمن يدل عليهما.

احترام النبي ﷺ لملك الحبشة النجاشي وشعوره بالأخوة الإنسانية معه، جعله يأمر أصحابه بالهجرة إليه قائلاً: "إنه لا يُظلم أحد عنده".

وعندما عقد النبي ﷺ معاهدة مع قريش في

الحديبية، توثبت خُزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده. فقبل النبي دخول قبيلة خزاعة مسلمهم وكافرهم في حلفه وعهده.

ولما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ليلقاهم، ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدرعاً وسلاحاً، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك، فقال: "يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غداً". فقال صفوان: أغضبنا يا محمد؟ قال: "بل عارية، ومضمونة حتى نؤديها إليك". قال: ليس بهذا بأس. فأعطاه مئة درع بما يكفيها من السلاح، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها، ففعل. ولقد أتاحت الدولة الإسلامية لأهل الذمة سبل المشاركة الفعالة في الحياة الاقتصادية، وذلك بما كفلته لهم من حقوق وحرقات، جعلتهم يحيزوا الثروات الضخمة والمناصب الكبيرة في العصر العباسي وما بعده.

فأتاحت لأهل الذمة سبل الاشتغال بالتجارة، ويسرت لهم حرية التنقل على امتداد العالم الإسلامي كله، مثال ذلك ما حواه عهد أهل "بعلبك"؛ أنه لتجارهم أن يسافروا إلى حيث أرادوا من البلاد التي صالحنا عليها. وقد تيسر على إثر ذلك لأهل الذمة أن يحتكروا بعض التجارات في أواخر القرن الثالث الهجري مثل الصيرفة.

وكما جاء في "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" أن أهل الذمة تمتعوا في البلاد الإسلامية بوضعية اقتصادية واجتماعية كانت تؤهلهم لأن يكونوا الثروات الكبيرة ويرتقوا المناصب السياسية الرفيعة، وأن يتمكنوا من ممارسة كافة الشعائر الدينية، مثل الاحتفال بالأعياد والمناسبات بحرية وأمان.. ومثال ذلك ما وصل إليه نصارى بغداد من مكانة اجتماعية واقتصادية؛ ففي أيام الخليفة المتوكل، صارت لهم ثروات ضخمة وسكنوا القصور، حتى كان الطبيب بختيشوع يضاهي الخليفة المتوكل في اللباس وعدد الجوارى والعبيد. ■

(\*) مفتي الديار المصرية الأسبق، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف / مصر.

## كيف نخفف آلامنا؟

الألم هو شعور ذاتي يستطيع الشخص المتألم فقط إدراكه، ولا يمكن الإحساس به من قبل الآخرين أو قياسه وتوثيقه بفحص أو جهاز معين. فهو بمثابة حاسة سادسة إلى جانب حواسنا الخمسة، إلا أنه يتم تناوله علمياً ضمن حاسة اللمس، ويُعزى سبب الإحساس بالألم إلى حدوث خلل وتمزق في الخلايا أو الأنسجة، مما يؤدي إلى تلف أو موت بعض الخلايا أو معظمها، لذا ينبغي أن نتوخى الحذر حال إحساسنا بالألم. ولكن لا بد أن نتذكر دائماً أن الألم هو بمثابة منبه أو نظام حماية موضوع في جسمنا ليندرنا عن المشاكل التي ستقع في أبداننا.







## ألم الخاصرة

من أهم أسباب ألم الخاصرة، الخمول والكسل والسمنة. فمن لم يمارس التمارين الرياضية، معرض دائماً لخطر البدانة، وكلما ازداد الوزن أصبح من الصعب القيام بممارسة الرياضة. كذلك من أهم أسباب آلام الخاصرة، عدم الانتباه وعدم التصرف بحذر عند التقاط أو رفع شيء من الأرض. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الإنسان إذا أراد أن يتجنب البدانة وزيادة الوزن، فعليه الالتزام بالتوجيهات النبوية الخالدة؛ كالاكتفاء بالقليل من الطعام، والنهوض من المائدة قبل الإحساس بالشبع.. فالبدانة أحد أهم أسباب فتق الخاصرة. إذ تكون عائقاً أمام ممارسة الرياضة، وعدم ممارسة الرياضة يكون سبباً في ضعف عضلات الخاصرة، إلى أن ينتهي الأمر إلى فتق الخاصرة أو فتق الفقرات القطنية. ولا شك أن القيام بأداء الصلوات الخمس كل يوم، هو أنجع علاج لألم الخاصرة. فإذا أهملنا ذلك واكتفينا بتناول المسكنات فقط، فلربما لا نشعر بالوجع حينها، لكن الضرر والفتق يبقى مستمراً بكل تأكيد. لذا علينا ألا نلج على الأطباء في طلب المسكنات.

## ألم الركبة

كل ما ذكرناه آنفاً سار أيضاً على مشاكل الركبة من تمزق غضروف المفصل، وتهتك الأربطة الجانبية والصلبية. إن الركبة أهم أجزاء الجسد، وعلينا أن نحميها ونتجنب الأوضاع التي تسبب لنا الألم من خلالها.. علينا أن نكون حذرين جداً عند القعود والنهوض، وعند القيام بعد جلوس القرفصاء لفترة طويلة، أو عند ركوب السيارة أو النزول منها.. علينا أن نتحكم جيداً في الجزء السفلي من الركبة، وأن نحول دون انزلاقه يمناً أو يسرة.. علينا أن نتوخى الحذر كثيراً عند ممارسة الرياضة من أجل حماية الركبة والحيلولة دون إصابتها.. علينا كذلك أن نتجنب بعد مرحلة عمرية معينة، الحركات والتمارين القاسية؛ مثل رفع الأحمال الثقيلة، والقفز من مكان مرتفع، لأنها سبب في خطر تهتك عظام وغضاريف الركبة وأربطتها. إن الجلوس متربعا لفترة طويلة، أو الجلوس على الأرض طويلاً، يؤدي في الركبة إلى

انشداد الأربطة الجانبية أو المتقاطعة وإضعافها، بل وقطعها في حال القيام بشكل مفاجئ. ولا يوصي الأخصائيون وضع القدم على القدم عند الجلوس على الكرسي فترة طويلة، وذلك للضرر الذي يقع على الركبة.

## ألم الرأس

من أهم أسباب آلام الرأس، التوتر العصبي؛ حيث تشد وتتصلب عضلات الرأس في هذا النوع من الصداع، مما يسبب تقلص الأوردة ليؤدي ذلك إلى نقص الأكسجين الواصل إلى الأنسجة، فينتج عنه الصداع وألم الرأس. لو استطعنا التغلب على التوتر، لانخفض معدل الصداع وأصبحنا سعداء في هذه الحياة. لذا يجب القضاء على التوتر بشكل فعال وعملي، وإن النجاح في هذا، مرهون بالاستعداد الذهني والحيوية والنشاط.

قد يفضل البعض العلاج بالحجامة والأدوية المكملة الأخرى. ولكن نعود لنؤكد مرة ثانية على أن الصلوات الخمسة مفيدة جداً لخفض حدة التوتر وآلام الرأس والرقبة والخاصرة والركبة، لأنها تمرين رياضي تفيد البدن والروح في آن واحد. وكذلك الوضوء فإنه حركات رياضية من جانب، ومن جانب آخر نظافة وتطهير للبدن، بالإضافة إلى أن الماء في الوضوء يساعد على إفراغ الشحنت الكهربية الناتجة عن التوتر في الإنسان. لقد أثبتت الدراسات العلمية، أن المسح على الرأس في الوضوء، وتدليك الأذن من الداخل والخارج، وغسل الوجه، والقدمين، كلها أمور في غاية الأهمية تؤدي إلى إزالة التوتر، وإفراغ الشحنت الكهربية الضارة للجسم. ومن الجدير بالذكر أن المخ يتمتع بهرمون مسكن للآلام يُعرف بـ"الإندورفين"، أقوى بآلاف المرات من المورفين. كما أن الآلام المزمنة، يتم القضاء على جزء كبير منها عن طريق "مراكز التحكم في الألم" بالمخ، وما نشعر به هو جزء بسيط متبقي منها. ولولا هذا النظام الذي وُضع في المخ، لاستحالت الحياة نتيجة الألم والأوجاع، وأصبحت لا تطاق أبداً. ■

(\*) كاتب وأكاديمي تركي. الترجمة عن التركية: خالد جمال عبد الناصر زغلول.



## زخرفة الحياة

عجيبية ذائقة البشر الجمالية التي تثبت أن الأمور ليست متوقفة عند تلبية الضرورات المادية من مطعمات، وبيوت، وملبوسات، ومفروشات ونحوها من ضرورات الحياة. بل يتجاوز ذلك بتلبية حاجات معنوية، كحاسة تذوق الجمال، والحاجة للتجمل، والتزين والزخرفة المركوزة في الفطرة البشرية؛ الفطرة التي انفتحت واستقت من مظاهر الجمال والإبداع المبتوثة في الكون جماداته قبل أحيائه. لذا زخرف المبدعون -خاصتهم وعامتهم- كل ما يستطيعون زخرفته بطرائق ونماذج ووحدات وعناصر زخرفية لا تعد ولا تحصى.

الزخرفة هي فن تزيين وتجميل، وإكمال حُسن الأشياء بالنقش، أو الرقش أو الحفر أو التطعيم أو التطريز أو التلوين وغير ذلك، مما يُسهم في إضفاء







ومعتقدات، ورغبات ومخاوف، وأفراح وأتراح، وآمال وآلام، اقتراب وابتعاد من تحقيق الأهداف والغايات، والأمنيات البشرية.

وفضلاً عن كونها تعبر عن ملامح تتصل بحياة الإنسان العامة، وتعكس عاداته وتقاليده، وطرائق معيشته وأنشطته البيئية الخاصة، فإن ملامح وتفصيل تلك الزخرفة البشرية، بادية -أيضاً- في المساجد والبنائات، وفي المعمار والطرقات، والأخشاب والأثاثات، والأزياء والمنسوجات، والسجاد والمفروشات، والحلي والزينات، والخزف والزجاجيات، والأواني والمشغولات، والكتب والمجلدات.. ولقد أتى الفنان أو الزخرفي أو الصانع، في التعبير الفني والجمالي، عن تلك الجوانب بعناصر مُشاهدة ومتنوعة ومتغيرة حسب الأزمنة والأمكنة.. فقلد المظاهر الزخرفية الطبيعية من حوله، ثم راح يطور ويبدع،

لمسات جمالية ولمحات فنية. وقبل تبلور نظريات الفن قديمها وحديثها، يبقى الفن رؤية أو حدساً، صوراً ذهنية يراها الفنان أو الصانع، ومن ثم يختار للتعبير عنها وسائل مادية لتخرج للواقع عملاً منظوراً أو ملموساً أو مسموعاً. ولا يكتمل رونق تلكم الأعمال إلا بلمسات إبداعية، وتنوعات زخرفية تترك في الذائقة البشرية مشاعر شتى وتوحدات جمّة وأفكاراً عدة. ومن ثم بناء المعيار الجمالي الذي يقاس به صدق الأحكام الخاصة، بالقيمة الجمالية والبراعة الفنية. وتتطابق هذه الأمور وغيرها -أيما تطابق- مع فنون الزخرفة التي هي أحد مكونات التشكيل، وجانب مهم من جوانب الهوية القيمة، والخصوصية المجتمعية لكل المجتمعات البشرية. ولقد توالى إبداعها -كمّاً وكيفاً شكلاً ومضموناً- لتضفي مظهرًا جماليًا، وتشخيصًا لأفكار





وأسلوبه. وقد تكون هذه الزخرفة ثنائية الاتجاه، كما هو الغالب في زخرفة الحوائط والأبواب والسقوف والسجاد.. وقد تكون ثلاثية الاتجاه، كما في الأعمدة أو العقود، وفي المقرنصات في أعالي البوابات أو جدران القباب.

### زخارف بصرية

تشكيلات زخرفية بصرية متنوعة أبدعتها يد الفنان والمعماري في الجوامع والمساجد والقباب والمدارس، والبيمارستانات والبيوت، والمشربيات والطرقات، والأزقة والحارات.. وكثيراً ما استُخدمت المواد البيئية الأولية وأدوات بسيطة في تزيين البيوت والأسلحة؛ فاستعمل الجير الأبيض -مثلاً- مخلوطاً بأكاسيد المعادن وغيرها من الألوان، لدهان الحوائط الخارجية، ونقشها بعناصر زخرفية، وفنون خطية كتابية. أما في المدن والبيئات الساحلية، يكثر زخرفة الأبواب والنوافذ والطرقات باللون الأزرق والأبيض، ليتواءم ولون السماء الصافية وزرقة الماء الساحرة.

وثمة الرسومات الشعبية واللوحات الجدارية التي تُعدّ احتفالاً واحتفاءً برحلات الحج والعمرة، فأينما حللت وارتحلت تجد مظاهر الاحتفال والتوثيق الزخرفي العريق بالرحلة المقدسة. بالإضافة إلى تزيين جدران منازل الحجيج والمعتمرين التي تُوضع إعلاناً للفرحة، وإشاعة للبهجة، ومشاركة وجدانية، وأبهة اجتماعية، وتذكيراً بالرحلة المقدسة من جانب، ومن جانب آخر لتعكس موهبة وإبداعاً فطرياً للفنانين.

وفي عالمنا العربي الإسلامي، ما زال يتواجد الحرفي الذي يحوّل خامة الخشب إلى قطعة رائعة تموج بالفن وتجذب عشاقها. ولقد أظهر هؤلاء الصناع، المهارة والبراعة في تزيين وزخرفة الأخشاب والأثاث والمشربيات. إنه أسلوب حياة بكل ما تنطوي عليه من تراث مادي ومعنوي حي، يعكس آثار منتجات هذه الصنائع على السلوك الإنساني في إثراء الذائقة الجمالية والمتعة البصرية، لتنتشي الحواس بما تدرکه من علاقات جمالية بين الأشكال والتكوينات، التي

اختياراً وتخطيطاً وتصميمًا وتنفيذًا.. وأعاد تنظيم وترتيب تلکم العناصر معتمدًا على التكرارات المنتظمة وغير المنتظمة من عنصر واحد أو عدة عناصر متنوعة متألّفة أو متباينة. كما أنه مع مرور الوقت، عمد إلى إضافة شيء جديد مُبتكر، لكنه -أحياناً- لا يولد من فراغ. فتقليدًا وابتكارًا، تنتظم فنون الزخرفة لتشكل نظامًا جماليًا بشريًا متكاملًا، يحقق فكرة معينة من خلال مفردات تشكيلية.

### عراقة الزخرفة

تركت الحضارات الإنسانية والجماعات البشرية في فنونها المختلفة، تصاميم ومفردات زخرفية متعددة، أصبحت منهلاً خصباً تمد برصيد وافر ومتنوع من العناصر الفنية. ففي البدايات زخرف الإنسان أدواته من العظم والخشب والحجر.. فجملها بمفتاح الحياة، والغزلان، والطيور، والأزهار، والنخل، وأوراق التين، والمثلثات، والمربعات، والسداسيات، والمثلثات.. ثم لون عناصره الزخرفية، فاستخدم لوني الأحمر والأسود بدرجاتهما المتفاوتة، لتوافرها وسهولة استخدامها.

وفي مجالات مختلفة انتشر استعمال الزخارف النباتية والتوريق أو الأرابيسك، فتم بها تزيين الجدران والقباب، والتحف المختلفة، وصفحات الكتب وأغلفة تجليدها. وكانت أهم عناصره الزخرفية الزهور والأشجار والأوراق المتموجة أو المنبسطة أو المستديرة أو المسننة، وأشكالها المتشابكة أو الحلزونية بين فجوات التشبيك الهندسي. ولا شك أن أشكال الزخارف كثيرة، وتخضع في أغلبها لبنية أولية تأخذ صيغاً متعددة حسب رغبة المزمخرف

تعكس وجدان ومهارة الصانع الفنان.

إن أغلب سيدات الريف والبدو، وبعض سيدات الحضر، يحترفن التطريز اليدوي، ويحرصن على تصنيع ملابسهن، وأثواب زفاف بناتهن.. كما يتميز الزي الريفي والبدوي بغرز خيوطه الفريدة وتناسق ألوانه الرائعة، مما يجعله بطاقة تعريف للشخصية والقبيلة والمنطقة. وغالبًا ما يكون لون الزي النسوي وأماكن توزيع ألوانه، محددًا للمرحلة العمرية للمرأة أو الفتاة. وفي كثير من المناسبات ترتدي المرأة ثوبًا خاصًا مطرزًا بالكامل، لتبقي تلك الأزياء التقليدية كقطع من ذهب على أطباق من فضة، لذا فقد تنامي الأثر الجمالي والزخرفي للأزياء البدوية والريفية العربية الإسلامية. ونتجت تشكيلة حديثة من الأزياء غاية في الإبداع والتطريز الزخرفي، لتكمل لوحة فنية رسمت بأرقى التصاميم ممتزجة بأصالة الذوق الأصيل.

وتعد مواد الزينة -أدواتها وأشكالها وطقوسها- تعبيرًا فنيًا راقياً ورائعًا عن مظاهر التحضر وقيم الحضارة، سواء في شقها المادي (عالم الأشياء)، أو في شقها المعنوي (عالم القيم والأفكار)، ومنها قيمة الجمال. وقديمًا وحديثًا يزداد الولع بالوشم والحناء، ولعل السر يكمن في تصميماتها المعقدة التي يستغرق نقشها أو رسمها ساعات، ولونها الأحمر القاني الذي يتوهج، ورائحتها العطرة التي تفوح بعبق الطبيعة.

هذا وقد ظهرت صالونات متخصصة في نقش الحناء وتخطيطها على الأيدي والأرجل، كما ظهرت كتالوجات تحمل أشهر النقوش والتصاميم. ويسري الحال على زخرفة الخزف والزجاجيات، والأواني والمشغولات، والكتب والمجلدات، وتزيين الدمى والعرائس الشعبية كعروسة المولد وغيرها.. لتبقى قيم الجمال والزينة الحسية والمعنوية، حاجة فطرية جبل عليها البشر، لتسكن نفوسهم ويبتهج مارتهم ويتمتع ناظرهم.

إذن، من خلال فنون الزخرفة، يستطيع الإنسان التعرف على الذائقة الجمالية العامة والمشاركة، فضلاً عن تبين هوية وخصوصية

جماعات بشرية بعينها، وتواصلها وتلاحمها فنيًا مع غيرها من المجموعات الأخرى. وهذا التراث الزخرفي من الأهمية والثراء بمكان، بحيث يدعو للتأمل والتذوق والتمسك بخصوصياته والإسهام الوافر فيه، إثراء للحضارة الإنسانية. فكم هو مبهر عالم الزخرفة، لا تنتهي ولا تنضب إبداعاته ودلالاته المتنوعة.. يريح النفوس ويجردها من أشباح عالم ظاهري، تجريدًا يدفع إلى التأمل والتدبر؛ فتسمو الروح، وترتاح النفوس، وتتداوى من مراراتها اليومية، وقلقها الوجودي.. إذا ما كان في جوهره سباحة للعين، فإنه سباحة للنفوس. وأمثال تلكم الفنون المتوازنة ورسالتها السامية، مدعاة لتكريس فنون أصيلة ذات هوية، ورؤية يحتاجها المشروع الساعي لانتشال الإنسانية من أزمتها الفنية الراهنة. ■

(\*) كاتب وأكاديمي / مصر.







## ابن الهيثم مدرسة في طب الأعشاب

قد يصرف عنوان هذا المقال الأذهان إلى عالم البصرييات الشهير محمد بن الحسن بن الهيثم، الذي ولد في البصرة نحو سنة ٣٥٤هـ وتوفي في سنة ٤٢٠هـ، وعاش في مصر زمن الفاطميين، ولكن الذي نقصده هنا شخصاً آخر. وقد يكون اشتراكه في الاسم مع ابن الهيثم سبباً في نسيانه ومخاصمة الشهرة له، بل وأيضاً ضياع تراثه ونتاجه العلمي الذي لم يبق منه إلا النزر اليسير.

وسنحاول عبر هذه السطور القليلة، إمطة اللثام عن هذا العالم العربي وهو عبد الرحمن بن إسحق بن الهيثم؛ الذي يعدّ أحد أطباء وعلماء الأندلس البارزين والمؤسسين، لما يمكننا أن نطلق عليه أب المدرسة الأندلسية في طب الأعشاب.

ق



## المدرسة العربية في طب الأعشاب

قبل أن نتعرف على ملامح حياته، نودّ أن نلقي الضوء على المدرسة العربية في المعالجة بالنباتات والأعشاب ولا سيما في الأندلس؛ حيث بلغ الأطباء المسلمون في هذا العلم شأنًا كبيرًا، وتميز الطبيب النباتي المسلم، بأنه صاحب رؤية علمية شاملة تقوم على الملاحظة والتجربة، وكان يذكر أماكن العقاقير، ويقوم بعمل إحصاء عام لها، كي يستفيد منها عند الحاجة، كما يعرف أماكن تكاثرها وزراعتها، وكيفية الاستفادة منها، في صنع مواد كثيرة للطب والصيدلة. هذا التفوق في هذا المجال الطبي جعل الغرب يأخذون عنهم جملة من المواد الطبية، والمفردات الطبية التي زاد عددها على الثمانين. فقد أخذها الغرب عنهم وأوردها بالنص العربي، ووضع لها كلمات لاتينية، منها ما هي منحوتة أو مقتبسة من الأصل العربي، ومنها ما بقيت على لفظها العربي ولكن بحروف لاتينية". وقد اعترف بذلك الفضل العالم "لويجي رينالدي" "الذي يقول بأن العرب أعطوا من النباتات مواد كثيرة للطب والصيدلة"، وأيضًا العالم "سيديو" الذي يقول "إن العرب أضافوا مواد نباتية كثيرة كان يجهلها اليونانيون جهلاً تامًا، وزودوا الصيدلية بأعشاب يستعملونها في التطبيق والمداواة".

### من هو ابن الهيثم؟

هو عبد الرحمن بن إسحاق بن الهيثم، ولد بقرطبة في أوائل القرن الرابع الهجري، وتوفي يقينًا بعد سنة ٣٦٦ للهجرة. كان بارعًا في علم الطب، خاصة في المعالجة باستخدام النباتات والأعشاب. ونظرًا لبراعته ومهارته في العلاج النباتي، جعله الخليفة عبد الرحمن الناصر، أحد الأطباء السبعة الذين أوكل إليهم مهمة ترجمة كتاب الأدوية المفردة الملقب بـ"كتاب الحشائش" الذي ألفه "ديوسقوريدس"، وهو كتاب في العقاقير الطبية القائمة على النباتات التي تستخدم كدواء، ألفه "ديوسقوريدس" وعرض فيه ستمائة نبتة من الأعشاب الطبية، ووصفها بدقة، وصورها وذكر خصائصها ومنافعها الطبية. وقد ظل هذا الكتاب أعظم مرجع تقليدي في هذا الميدان. وبقي اسم هذا الكتاب مستخدمًا حتى القرن التاسع عشر، للدلالة على موضوع علم العقاقير في تعليم الطب. وقد قام "اصطف بن بسيل"

كان ابن الهيثم، صاحب خبرة وتجربة واسعة في علاج العديد من الأمراض والأوجاع باستخدام النباتات والأعشاب. وقد صاغ تجربته العلمية في العديد من المؤلفات، ولكنها فقدت وزهبت أكثرها في طي النسيان.

حراه

بترجمة بعض من أجزاء هذا الكتاب في زمن الخليفة المتوكل، "إلا أنها لم تكن ترجمة كاملة، ولم يستوفي الأسماء العربية كلها لعدم معرفته بما يقابل اليونانية فيها، حيث ظلت أسماء باقي العقاقير على صورتها اليونانية بحروف عربية". أما الترجمة الكاملة للكتاب من اليونانية إلى العربية، فقد جاء الحافظ عليها من المخطوط الفخم، الذي أرسله قسطنطين السابع إمبراطور الروم البيزنطيين، إلى الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر في قرطبة، حيث ألف "الناصر" هيئة من علماء الأندلس وأطبائها، ضمت عبد الرحمن بن إسحاق بن الهيثم، والراهب نيقولا العارف باللغة الأغرريقية واللاتينية، والطبيب حسداي بن إسحاق بن شيروط، ومحمد آل شجار، وأبا عمار الجزار، ومحمد بن سعيد الطبيب، وأبا عبد الله الصقلي. وقد عملت هذه المجموعة على ترجمة الكتاب إلى اللغة العربية، معتمدة على الطريقة العملية الميدانية، وذلك بالوقوف على أنواع النباتات ومعانيها، والتأكد في النهاية من صحة النقل عن اليونانية إلى العربية. وقد كانت ترجمة هذا الكتاب، بداية الطريق إلى ظهور المدرسة الطبية النباتية في الأندلس، التي حمل لواءها ابن الهيثم ورفاقه الذين تجاوزوا مرحلة الترجمة والنقل إلى مرحلة المعالجة باستخدام النباتات والأعشاب، إلى مرحلة التأليف في فوائدها العلاجية. فكانت الحصيلة عشرات المؤلفات ذات الطابع المميز الذي فاق به أطباء الأندلس نظراءهم في المشرق، ولكن للأسف الشديد ضاعت ترجمة ابن الهيثم ورفاقه لهذا الكتاب الذي لم يبق منه إلا النزر اليسير. ومع ضياعها طويت صفحة حياة ابن الهيثم، التي لم نعرف عن سيرته سوى هذا النزر اليسير.

### مؤلفاته ومجهوداته العلمية

كان عبد الرحمن بن إسحاق بن الهيثم، صاحب خبرة

وتجربة واسعة في علاج العديد من الأمراض والأوجاع باستخدام النباتات والأعشاب. وقد صاغ تجربته العلمية هذه في العديد من المؤلفات، ولكنها للأسف الشديد قد فقدت وذهب أكثرها في طي النسيان، ولم يتبق منها سوى أسماءها فقط. ومن هذه المؤلفات:

- ١- كتاب الكمال والتمام في الأدوية المسهلة والمقيئة، وقد ذكره ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء.
- ٢- كتاب السموم أو السمائم، ذكره ابن حزم.
- ٣- كتاب الاكتفاء بالدواء من خواص الأشياء، وقد أشار ابن حزم إليه، وأضاف أنه صنفه للحاجب أبي عامر، الحاجب المنصور.

٤- كتاب الاقتصاد والإيجاد في خطأ ابن الجزار في الاعتماد. وابن الجزار أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد من أطباء القيروان، ومن مؤلفاته "الاعتماد في الأدوية"، الذي وصل إلى الأندلس، فتعقبه ابن الهيثم بكتابه هذا مبيناً فيه ما وقف عليه في كتاب الطبيب القيرواني من الخطأ". وكتب ابن الهيثم هذه مفقودة، ولم يتبق منها سوى شذرات قليلة أوردها ابن البيطار في موسوعته الشهيرة "الجامع لمفردات الأدوية"، ومما استخلصه ابن البيطار من تراثه العلمي، المفردات الثماني وهي بخور مريم، جوز الرقع، جوز القيء حردون، ند، عقرب كبايه، كمون، وأكثرها مفردات نباتية واثنتان حيوانيتان، وليس بينهما مفردة معدنية واحدة. ولقد بدأ ابن الهيثم معنياً بالمفردات المقيئة، حتى إنه ألف فيها كتابه "الكمال والتمام في الأدوية المسهلة والمقيئة"، ومما نقل عنه، أن ابن البيطار -بما يتعلق بجوز القيء- قدر الواحدة من جوز القيء هذا، قدر البندق، وهو ثمر شجرة تنبت بالسودان، لونه أبيض يميل إلى الصفرة، أعظم من البندق، وهو يدفع إلى القيء والإسهال. ونصّ ابن الهيثم الذي نقله عنه ابن البيطار، يقول: "إذا شرب منه وزن درهم كيلاً بوزن مثقال من الأيسون المسحوق، وعجن بكفايته من العسل، وشرب منه بماء حار، هيح القيء وقياً فضولاً مربة وبلغمية، ويسهل أيضاً في أسفل على قدر القوة والفضل". كما نقل عنه ابن البيطار تعريفه للنبات المسمى بخور مريم، فيقول: "هو نبات له ورق دقيق في صفة ورق النيل، وعسلوج في ارتفاع الذراع رقيق، في أصل كل ورقة عسلج صغير، وفي طرفه رؤوس صفر

كأنها شعبة من إكليل الشبث وبذره كبذره، وأصل هذا النبات إذا علق على المرأة منع الحمل".

### ابن الهيثم في المؤلفات الطبية والعلمية

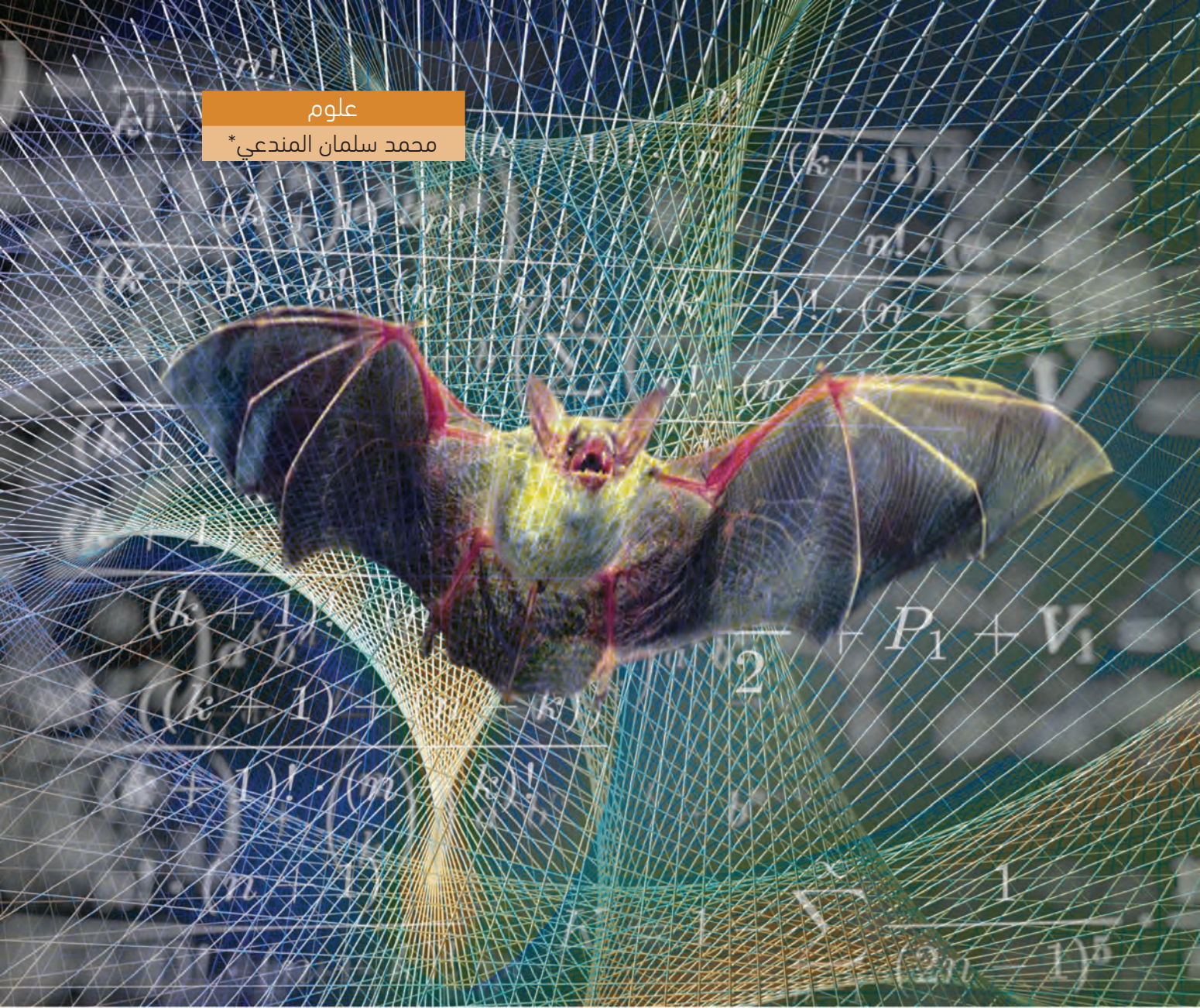
وتقديرًا لدور ابن الهيثم في الحياة العلمية والطبية، فقد شهد بفضل العديد من الأطباء والعلماء العرب وغيرهم، وذلك من خلال ما تركه من كتب ومصنفات، وما زالت الأجيال الجديدة تنهل من روافدها إلى اليوم. فقد ذكر ابن جلجل في مقدمة كتابه "تفسير أسماء الأدوية" أثناء حديثه عن وصول كتاب ديسقوريدس إلى الأندلس فقال: "كان يومئذ من الأطباء قوم لهم بحث وتفتيش وحرص على استخراج ما جهل من أسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس إلى العربية.. ومن الأطباء الباحثين عن تصحيح أسماء عقاقير الكتاب وتعيين أشخاصه عبد الرحمن بن إسحق بن هيثم"، وعداد أسماء سبعة أطباء. كما ذكره أبو محمد علي بن حزم في رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، فقد كتب معترفاً بفضلهم قائلاً: "وكتاب ابن الهيثم في الخواص والسموم والعقاقير من أجل الكتب وأنفعها". كما قال عنه مؤرخ الأطباء ابن أبي أصيبعة الدمشقي: "عبد الرحمن بن إسحق بن الهيثم من أعيان الأندلس وفضلاتها، وكان من أهل قرطبة، له من الكتب أربعة". وفي العصر الحديث ترجم له الطبيب المستعرب الفرنسي "لونسيان لوكليير" (١٨١٦-١٨٩٣) في كتابه "تاريخ الطب العربي" فقال عنه: "إنه كان في عداد الأطباء المكلفين بمساعدة الراهب "نقولا" في تعيين النباتات المذكورة في كتاب ديسقوريدس"، وأدرج أسماء كتبه نقلاً عن ابن أبي أصيبعة، وأشار إلى نقول ابن البيطار في كتابه "جامع المفردات". ■

(\*) كاتب وباحث مصري.

### المراجع

- (١) العلوم عند العرب، قدرتي حافظ طوقان، الناشر: مكتبة مصر.
- (٢) تراث الإسلام، شاخت بوزورث، ترجمة: د. حسين مؤنس، وإحسان صدقي العمدة، سلسلة عالم المعرفة، الجزء الثاني.
- (٣) بداية الطب النباتي في الأندلس، فاضل السباعي، مجلة الفيل، العدد: ١٦١، يونيو عام ١٩٩١م.
- (٤) رسائل ابن حزم، تحقيق: د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الجزء الثالث.





## خوارزميات مستوحاة من الكائنات

الخوارزميات والأساليب القائمة، كما أنها توفر الوقت لتحقيق الأمثلية أو التحسين (Optimization) في الحل.

### خوارزميات التحسين

لقد أصبحت خوارزميات التحسين المستوحاة من الطبيعة، ذات انتشار متزايد في السنوات الأخيرة، وذات أهمية بالغة في العديد من التطبيقات، مثل الهندسة والأنشطة التجارية والتصاميم الهندسية (النماذج الصناعية)...

لا شك أن الطبيعة هي المورد الخصب الذي يلهم الباحثين في كثير من مجالات العلم. ولقد تزايد مؤخرًا،

عدد الباحثين المهتمين باستنباط خوارزميات إرشادية (تجريبية) متقدمة، مستندة على سلوك الكائنات الحية، فهذه الخوارزميات تنتج أفكارًا جديدة، وتقنيات فعالة لحل المشاكل الصعبة والمعقدة التي لا تحل بواسطة









الخفاش

الموقع بالصدى على نطاق واسع، في حين أن الخفافيش الكبيرة لا تستعملها.

والخفافيش الصغيرة، من آكلات الحشرات، وتستخدم أصداء السونار للكشف عن الفريسة وتجنب العوائق، وتحديد أماكنهم في الظلام؛ فهي تطلق ذبذبات صوتية عالية جداً تتحول إلى تردد ينعكس وتسمع الصدى مرة أخرى من الأهداف المحيطة بها. والخفافيش تبحر باستخدام التعويق الزمني (Time De-) (lay) من انبعاث الموجات إلى انعكاسها وتتحول إلى معلومات مفيدة لتفسير كم يبعد الهدف.

ومن أجل التوضيح، يمكن تمثيل الخوارزمية بالتالي: أولاً: كل الخفافيش تستخدم الصدى لتحديد الموقع لمعرفة المسافة، تعرف الفرق بين الفريسة والحاجز. ثانياً: عملياً، كل الخفافيش تطير عشوائياً بسرعة في الموقع (فضاء الحلول)، وتضبط الطول الموجي تلقائياً للموجات الصادرة، وتضبط معدل الانبعاث باحتمالية (٠,١) اعتماداً على قربهم من الهدف، والبحث يكون مكثفاً بواسطة البحث العشوائي المكاني، ويستمر حتى يحقق أفضل اختيار وفق معايير محددة. وتقنية ضبط التردد تستخدم في خوارزمية الخفاش لزيادة تنوع الحلول، وللتحكم في السلوك الديناميكي لسرب الخفافيش.

ولهذه الخوارزمية العديد من التطبيقات، منها التحسين المستمر في التصميم الهندسي، ومعالجة الصور، ومعالجة المشاكل اللاخطية بكفاءة عالية وإيجاد الحلول لها، وتصنيف وتجميع البيانات، كما أنها تستخدم في المنطق الضبابي، ولها تطبيقات في أنظمة الجمالون، وتصميم أوعية الضغط، والمباني الضخمة.

ومن خلال صياغة خوارزمية الخفاش، وتنفيذها

الدراسات أيضاً أن فرخ الوقواق يمكن أن يحاكي نداء فرخ المضيف للوصول إلى المزيد من فرصة التغذية.

وبحث الوقواق، تستند على ثلاثة احتمالات، الأول أن كل وقواق يضع بيضة واحدة في المرة الواحدة، ويلقي البيضة في عش تم اختياره عشوائياً. والثاني يتم نقل أفضل الأعشاش المحتوية على البيض ذي الجودة العالية (الحلول) إلى الأجيال القادمة. وأما الثالث فإن عدد أعشاش المضيف المتاحة ثابتة، والبيض الموضوع بواسطة الوقواق يكون مكتشفاً بواسطة الطائر المضيف باحتمالية قليلة للغاية. ومن جهة نظر التطبيق يمكننا استخدام التمثيل البسيط التالي: إن كل بيضة في العش تمثل الحل، وبيض الوقواق يمثل حلاً جديداً، والهدف من ذلك هو استخدام حلول جديدة وربما أفضل (الوقواق)، ليحل محل الحلول غير الجيدة في الأعشاش.

لقد تم تطبيق بحث الوقواق في العديد من مجالات التحسين، والذكاء الحاسوبي، بكفاءة واعدة؛ على سبيل المثال في تطبيقات التصميم الهندسي.. كما أظهرت كفاءة في حل المشاكل اللاخطية مثل التوليد الشبكي (Mesh Generation) الذي يستخدم من قبل المهندسين الحاسوبين، للحصول على تنبؤات في الهندسة المعقدة، وفي مجال اندماج البيانات، وشبكات الاستشعار اللاسلكية، وغيرها من التطبيقات المهمة.

### خوارزمية الخفاش

ومن الخوارزميات المستوحاة من الكائنات الحية، خوارزمية الخفاش (Bat Algorithm) المطورة بواسطة Xin-sheYang عام ٢٠١٠م، وتستلهم من سلوك الخفافيش في تحديد الموقع بالصدى (Echolocation) بمعدلات تتفاوت في انبعاث الذبذبات وجهازة الصوت. والخفافيش حيوانات رائعة تعدّ الثدييات الوحيدة المزودة بالأجنحة، ولديها قدرة متقدمة لتحديد الموقع بالموجات الصوتية، ويقدر عدد أنواعها بنحو ١٠٠٠ نوع مختلف، والتي تمثل ما يصل إلى ٢٠٪ من جميع أنواع الثدييات، وحجمها يتراوح بين الخفافيش الصغيرة الطنانة (من حوالي ١,٥ إلى ٢ جرام) إلى الخفافيش العملاقة (حوالي ٢ متر)، كما يصل وزنها إلى ١ كغ. والخفافيش الصغيرة مشهورة باستخدام خاصية تحديد





## حنين إلى غائب

مَعَا فِي أَفْقِ صُحْبَتِنَا لَمَعْنَا  
 نَعْمُنَا فِي رِحَابِ الْحَبِّ عُمُرًا  
 جَمَعْنَا زَهْرَنَا النَّادِي وَعِشْنَا  
 تَقَاسَمْنَا الْأَغَانِي وَالْأَمَانِي  
 وَمَا زَلْنَا يَثُورُ بِنَا حَنِينٌ  
 وَرَبَّ الْكُونِ مَهْمَا غَبَتْ عَنَّا  
 وَإِنَّا لَوْ غَشَانَا بَعْضُ فَرْحٍ  
 لَنَبِضِ فِؤَادِ أَلْفَتِنَا اسْتَمَعْنَا  
 عَلَي نَوْرٍ مِنَ اللَّهِ اجْتَمَعْنَا  
 تُظَلِّلُنَا سَكِينَةٌ مَا جَمَعْنَا  
 عَسَى يَوْمًا بَسْمُنَا أَوْ دَمَعْنَا  
 إِلَيْكَ وَمِنْ مَخَافَتِنَا قَمَعْنَا  
 أَحْسَكَ رَغَمَ صَمْتِ الْبَعْدِ مَعْنَا  
 فَمَا لِلْفَرْحِ دُونَكَ أَي مَعْنَى

♡ شاعر وأديب مصري.



مجلة علمية ثقافية أدبية  
www.hiragate.com

مجلة علمية ثقافية أدبية  
تصدر كل شهرين عن دار الانبعاث  
للنشر والتوزيع

رئيس التحرير  
هانئ رسلان

مدير التحرير  
نور الدين صواش

سكرتير التحرير  
عبد السلام كمال أبو حسن

الإخراج الفني  
نور الدين محمد

منسق الاشتراكات والتوزيع  
علاء الكوابري  
+201000780841

نوع النشر  
مجلة دورية تصدر كل شهرين

الطباعة  
دار الجمهورية للصحافة

رقم الإيداع  
٢٤٢٦١

ISSN 2357-0229-76

## المنحى العام

- حراء مجلة علمية ثقافية أدبية تعنى بقراءة الكون والإنسان والحياة من منظور قرآني حضاري إنساني.
- تهدف إلى بناء الإنسان المتوازن علمياً وفكرياً وسلوكياً.
- تسعى إلى أن تكون إضافة نوعية مفيدة في الساحة الثقافية شكلاً ومضموناً.
- مجلة حراء ملتقى للفكر الإيجابي الحضاري البناء.
- تنطلق من رؤية حضارية تستمد طاقتها من ثراء الخبرة التاريخية للأمة الإسلامية والأسرة الإنسانية لمعالجة قضايا الواقع واستشراف آفاق المستقبل.
- تسعى إلى معالجة المعارف الإنسانية من منظور تألّفي بين العقل والقلب، والعلم والإيمان، والفرد والمجتمع، والروح والمادة، والنظري والتطبيقي، والمحلي والعالمي، والأصالة والمعاصرة.
- تحرص على الصحة في المعلومة، والإيجابية في الطرح، والعمق في التحليل، والإثارة في الكتابة، والحرية في التعبير مع احترام المقدسات والخصوصيات، والالتزام بالمبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية المشتركة، والإنصات إلى الآخر، والانفتاح على الحكمة الإنسانية حيثما كانت، والحوار البناء الذي يخدم الإنسان ويفيده؛ كما تحرص على الابتعاد عن الإقصاء والاستفزاز والإساءة والعنف والتطرف والسطحية والسلبية فيما تنشر.
- تهدف إلى الجمع بين عمق الفكرة، وجمالية الصياغة، وبساطة العبارة، ووضوح المعنى في أسلوب الكتابة.

## معايير النشر

- أن تكون المادة المرسله جديدة لم يسبق نشرها.
  - ألا تتجاوز عدد الكلمات ٢٠٠٠ كلمة. وهيئة التحرير لها الحق في التصرف تليخياً واختصاراً.
  - المادة المرسله تخضع لتحكيم لجنة علمية استشارية، وهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء تعديلات على المادة قبل إجازتها للنشر.
  - المجلة تحتفظ بحقوقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وطبقاً للتوقيت الذي تراه مناسباً.
  - للمجلة الحق في أن تكتفي بنشر المادة المرسله إليها في موقعها على الإنترنت دون استئذان كاتبها ما لم يؤكد الكاتب أثناء الإرسال رغبته في النشر في المجلة الورقية حصراً. علماً بأن ما ينشر إلكترونياً لا يترتب عليه أي مكافأة مالية.
  - المجلة تلتزم بإبلاغ الكتاب بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
  - للمجلة حق إعادة نشر المادة منفصلة أو ضمن مجموعة من المقالات بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى لغة أخرى دون استئذان صاحب المادة.
  - المقالات المنشورة في مجلة حراء تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
  - مجلة حراء لا تمنع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.
  - مجلة حراء ترجو كتابها الأكارم أن يرسلوا مع المادة نبذة مختصرة عن سيرتهم الذاتية مع صورة واضحة لهم.
- ترسل جميع المشاركات إلى البريد الآتي: [hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)



### EGYPT

٢٢ ج جنوب الأكاديمية، التجمع الخامس، القاهرة الجديدة، القاهرة.  
اشترك وتوزيع هاتف: +201000780841  
[hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)

### NIGERIA

Nusret Educational And Cultural Co. Ltd.  
Aguiyi Ironsi St. No: 77/B Maitama - Abuja  
Phone: +2349030222525  
[hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)

### IRAQ

Kani İrfan Publishing English Village N°9 / Erbil  
Phone: +964 750 713 8000  
[hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)

### USA

Tughra Books  
345 Clifton Ave., Clifton, NJ, 07011, USA  
Phone: +1 732 868 0210  
Fax: +1 732 868 0211  
[hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)

للتواصل مع إدارة المجلة | [hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)

+2 01094338182

- هل للأديان دور في صناعة الإرهاب أم إنها ضحية؟
- كيف يمكن أن يكون الإعلام فاعلاً إيجابياً ضد العنف؟
- ما الثغرات الفكرية التي ينفذ منها الإرهاب؟ وكيف يمكن التصدي لها؟



00201023201002 | daralinbiath@gmail.com | مركز التوزيع: دار الانبعاث

www.souq.com

مكتبة الشروق | Shorouk Bookstores | مكتبة فكرة ستي ستارز





مجلة علمية ثقافية أدبية  
www.hiragate.com

## هيجان الخريف

على شجرِ الحُورِ هاجَ الخَريفُ      فأسقطَ أوراقَه في كَمَدُ  
ولكنّه سوفَ يَخصِرُ أُخرى      وتشرقُ عيناهُ بَعَدَ الرمدُ  
فيا لغباءِ الذينَ يظنّونَ      أنّ الظلامَ ثوى للأمدُ  
وكلَ التحايا لَمَنَ ظلَّ حُرّاً      وفي وجهِ تلكَ البَلايا صَمَدُ

\*\*\*

